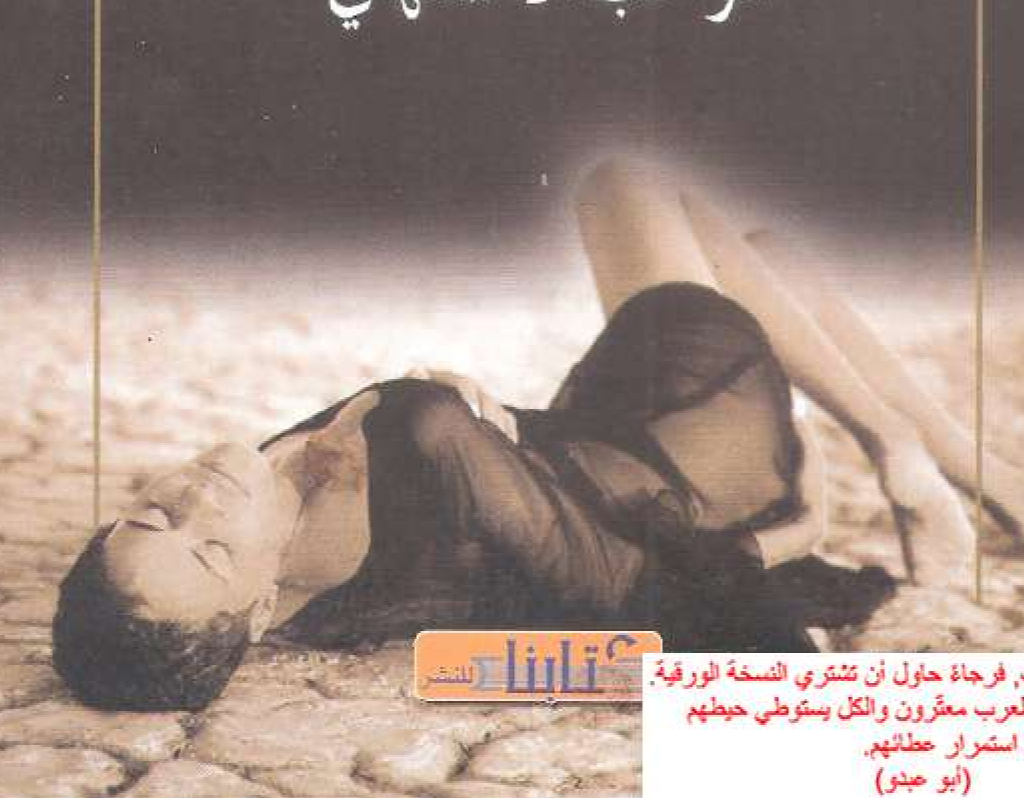
النكاح والجنس

في التراث العربي

الراغب الأصفهاني



النِّكاح والجنس

في

التراث العربي

النِّكاح والجنس

في

التراث العربي

تأليف
الراغب الأصفهاني

كتابنا للنشر

الطبعة الأولى
2007م

كتابنا للنشر

لبنان، المنصورية (المتن)
ص.ب.: 269 ـ المنصورية (المتن)
هاتف/ فاكس: 532255/ 4/ 00961 جوال: 808415/ 3/ 00961
E.mail: kitabouna@yahoo.com

المقدمة

هذا الكتاب مُسْتَلّ من كتاب الراغب الأصفهاني «محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء»، وهو، منه، الحدّان الخامس عشر والسادس عشر.

والراغب الأصفهاني هو أبو القاسم حسين بن محمد (502هـ/ 1108م)، أبو القاسم الأصفهاني (أو: الإصفهاني) المعروف بالراغب. أديب، من الحكماء العلماء. من أهل «أصفهان» سكن بغداد واشتهر، حتى كان يقرن بالإمام الغزالي. من كتبه «محاضرات الأدباء» و«الذريعة إلى مكارم الشريعة»، و«الأخلاق» ويسمى «أخلاق الراغب»، و«جامع التفاسير»، كبير، طبعت مقدمته، أخذ عنه البيضاوي في تفسيره، و«المفردات في غريب القرآن»، و«حلّ متشابهات القرآن»، و«تفصيل النشأتين» في الحكمة وعلم النفس، و«تحقيق البيان» في اللغة والحكمة، وكتاب في «الاعتقاد»، و«أفانين البلاغة».
(الزركلي: الأعلام 2/ 255).

وكتابه «محاضرات الأدباء» قسّمه إلى خمسة وعشرين فصلاً (ويُسَميه حدًّا) على النحو التالي:

1 - في العقل والعلم والجهل.

2 - في السيادة.
3 - في الإنصاف والظلم والحلم والعفو والعقاب والعداوة والحسد والتواضع والتكبر.
4 - في النصرة والأخلاق والمزح والحياء والأمانة والخيانة والرفعة والنذالة.
5 - ذكر الأبوة والنبوة ومدحهما وذمهما والأقارب.
6 - في الشكر والمدح والذم والاغتياب والأدعية والتهنئة والهدية.
7 - في الهمم والجد والآمال.
8 - في الصناعات والمكاسب والتقلب والغنى والفقر.
9 - في العطاء والاستعطاء.
10 - في الأطعمة والأكلة والقِرى وأوصاف الأطعمة.
11 - في الشرب والشراب وأحوالهما وآلاتهما.
12 - في الإخوانيات.
13 - في الغزل ومتعلقاته.
14 - في الشجاعة وما يتعلق بها.
15 - في التزوج والأزواج والطلاق والعفة والتديُّث.
16 - في المجونات والسحق.
17 - في خلق الناس وأسماؤهم.
18 - في الملابس والفرش.
19 - في ذم الدنيا وانكشاف النوب.

20 - في الديانات والعبادات.

21 - في الموت وأحواله.

22 - في الأسماء والأزمنة والأمكنة والمياه والأشجار والنيران.

23 - في الملائكة والجن.

24 - في الحيوانات.

25 - في فنون مختلفة.

وقد جعلنا الفَصلين المُسْتَلَّين من الكتاب قسمين، وقسّمنا كل قسم إلى فصول بحسب المواضيع.

القسم الأول

في التزويج، والأزواج، والطلاق، والعِدة، والتَّدَيُّث

الفصل الأوّل

في الزواج

1 - حَثّ الرجل على التَّزَوُّج:

قال الله تعالى: ﴿فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۖ﴾ [النساء: 3].

وكان الحسن بن علي، رضي الله عنهما، مِطْلاقًا مذْواقًا[1]، فقيل له في ذلك، فقال: إن الله تعالى علَّقَ بهما الغنى، فقال: ﴿وَأَنكِحُواْ ٱلۡأَيَٰمَىٰ مِنكُمۡ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنۡ عِبَادِكُمۡ وَإِمَآئِكُمۡۚ إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغۡنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۗ﴾ [النور: 32]. وقال: ﴿وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغۡنِ ٱللَّهُ كُلّٗا مِّن سَعَتِهِۦۚ﴾ [النساء: 130]. فأنا أتزوَّجُ للغنى، وأُطَلِّق للغنى.

وقال النبي، ﷺ، لرجل: ألكَ زوجٌ؟

قال: لا.

قال: وأنتَ صحيحٌ سليم؟

قال: نعم.

---

(1) أي: يُكثر من الزوجات وتطليقهنّ.

قال: إنك إذًا من إخوان الشياطين، إنَّ شِراركم عِزابُكم، وإنَّ أراذلَ موتاكم عِزابُكم، إن المتزوِّجين هم المُبَرَّؤون من الخنا[1]، والذي نفسي بيده، ما للشيطان سلاح في الصالحين من الرجال والنساء، أبلغ من تَرْكِ النكاح.

قال شاعر، وأجاد:

إذا لم يَكُنْ في مَنْزِلِ المرْءِ حُرَّةٌ
تُدَبِّرُهُ ضاعَتْ مَصالح دارِهِ

2 – الحثّ على التزَوُّج أيام الشباب:

مَرَّ مَلِك من ملوك العجم بشيخ يَعْمل في أرض، فقال له: أيها الشيخ، هلّا أدْلَجْتَ[2]، فيكون من ذلك ما يكفيك؟

فقال: أدْلَجتُ، ولكن القضاء لم يُدْلِجْ.

فقال: اكتمْ كلامنا هذا حتى تراني. ثم انصرف الملك فأحضر وزيره، وقال: ما معنى كلام الشيخ: قيل له: كذا، فأجاب بكذا، وقد أنْظَرْتُكَ حَوْلًا[3].

فجعل الوزير يسأل الناس ولا يجيبه أحد، حتى وقع

(1) الخنا: الزّنى.
(2) أدْلَجتَ: سيأتي تفسير المقصود منها.
(3) أي: أمهَلْتُكِ سنة.

بالشيخ، فسأله، فقال له: إنَّ الملكَ اسْتَكْتَمَني الأمْرَ[1] حتى أراه، فبذل له عشرة آلاف درهم، فقال: إنّه قال لي لِمَ لم تتزَوّج أيام الشباب. فقلت له: قد تزَوَّجْت، ولكنْ لم يأتني أولاد.

فجاء الوزير فأخبر الملك، فقال له: عَلَيَّ بالشيخ[2]، فلما حَضَر، قال له: ألَمْ أقلْ لكَ اكتُمْ أمرنا حتى تراني!.

قال: قد رأيتُكَ عشرة آلاف مَرَّة. فعلم أنَّ الوزير دفَعَ إليه عشرة آلاف درهم، وأنه رأى اسمه مكتوبًا على كلِّ درهم منها وصورته، فقال: زِدْهُ، ودَفَعَ إليه أربعة آلاف درهم أخرى.

3 - الألفة بين الزوجين:

قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا﴾ [الفرقان: 54].

وقال رجل للنبي، ﷺ: يتزوَّجُ الرجل المرأةَ الغريبة، بينهما الأُلفة. فتلا قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم: 21]. وقال تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ [آل عمران: 14]؛ فبدأ بهِنّ، لقربهِنَّ من القلوب.

---

(1) أي: طلب إليّ أن أكتم الأمر.
(2) أي: أحْضِرْهُ إليّ.

4 - الرَّغْبة عن التزوُّج:

استشار رجلُ الشعبيّ[1] في التزوُّج، فقال: إنْ صبرتَ عن الباه[2]، فاتَّقِ الله، ولا تتزوَّجْ، فإنْ لم تصبرْ، فاتَّقِ الله وتزوَّجْ.

وقيل لمالك بن دينار: لو تَزوَّجْتَ[3]. فقال: إنّي طلَّقْتُ الدنيا ثلاثاً، فلا رجعةَ لي فيها.

وقيل: ما فكّرَ فيلسوفٌ إلا ورأى العزْبة[4] أجْمَعَ لهمِّه وأجْوَدَ لخاطره.

وسُئل حكيم عن التزوُّج، فقال: بقْلُ شَهْر، وشوكُ دَهْر.

وقال آخر: مُكابَدَة العُزْبة أيْسَرُ من الاحتيال لمصالح العِيال.

وقال أعرابي وقد عَرَضَتْ عليه دَلالَةٌ[5] امرأةً:

أَقولُ لها لما أتتني تَدُلُّني
على امْرَأةٍ مَوْصُوفَةٍ بجمالِ

---

(1) هو عامر بن شراحيل بن عبد ذي كبار (19هـ/ 640م - 103هـ/ 721م). أبو عمرو: راوية من التابعين، يضرب المثل بحفظه. وُلد ونشأ ومات في الكوفة. من رجال الحديث الثّقات.
(2) الباه: النّكاح.
(3) أي: ليتكَ تزوّجت.
(4) أي: عدم الزواج.
(5) الدلّالة: المرأة التي تسعى لزواج الإناث من الذكور.

أَصَبْتِ لها واللهِ زَوَجًا كما اشْتَهَتْ
إنِ اغْتَفَرَتْ مِنْهُ ثلاثَ خِصال
فمِنْهُنَّ شَخْصٌ لا ينادي وليدةً
ورِقَّةُ إسْلامٍ وقِلَّةُ مالِ[1]
فإن رَضِيَتْ هذي الخِصالِ فشَأنُها
وإنْ تَكُنِ الأخرى، فَلَسْتُ أبالي

وقال رجل لآخر: كُنّا في أَمْلاك فلان، فقال: لا تَقُلْ: «في أَمْلاكه»، ولكن «في أهْلاكه»، ثم أَنْشد:

يقولون تَزْويجٌ وأعْلَمُ أنَّهُ
هو الرِّقُّ إلا أنّ مَنْ شاءَ يَكْذِبُ

5 – التَّزَوُّج بأكثر من واحدة:

قال المغيرة بن شعبة: صاحبُ المرأةِ الواحدة إنْ مَرِضَتْ، مَرِضَ، وإن حاضَتْ حاض، وصاحِبُ الثنتين بين جَمْرَتين أيتهما أدْرَكَتْه أحْرَقَتْه، وصاحب الثلاث في رستاق[2] يبيت كلَّ ليلة في قرية، وصاحب الأربع عروسٌ في كل ليلة. وروي أنه قال: أحْصَنْتُ مائةَ امْرأة.

وقيل: إن الحسن بن علي، ﷺ، تزوج خمسًا وتسعين امرأة.

---

(1) لا يُنادي وليدَه: أي: أنا في حالة من الشِدّة والفَقْر يشغل الأمَّ فيها عن ولدها، فلا تناديه.

(2) الرُّسْتاق: القُرى. المقاطعة.

وقال أعرابيَ لآخر: لا تتزوَّجْ بأربع فَكُلٌّ تَأْخُذُكَ بحمّتها[1] وأنتَ كال[2]، ولا بثلاث، فإنَّهُنَّ كالأثافي[3] تصير بينهنَّ كالقِدْر فيكوينَّكَ، ولا باثْنَتين، فإنّهما يكونان كجَمْرَتين، ولا واحدة، فإنك تمرض إذا مَرضَتْ، وتحيض إذا حاضت، وتلد إذا ولدَتْ.

فقال له: لقدْ نهيتَ عن كلٍّ ما أمرَ اللهُ به، فما الذي أصْنع؟

قال: كوزان وطِمْران وعبادة الرحمن.

وخرجت جارية من دار الرشيد معها مِرُوحة مكتوب عليها: الحِرُ[4] إلى أيرين أحْوجُ من الأَيرِ إلى حِرَين.

(1) الحُمَة: السَّمّ، والإبرة تضرب بها الحيّة والعقرب وغيرهما.
(2) كالّ: تَعِب.
(3) الأثافي: أحجار الموقدِ التي يوضع عليها القِدْر.
(4) الحِر: فَرْج المرأة.

الفصل الثاني
في اختيار الزوج

1 - الحثّ على اختيار ذوات الأحساب والأنساب والترغيب عن لِئام ذوات المال:

قال النبيّ، ﷺ: اخْتَفِظوا لِنُطَفِكم[1]، فإنَّ العِرْق نَزَّاع. وقال: إيَّاكم وخَضْراء الدِّمَن[2]: قيل له: وما خَضْراءُ الدِّمَنِ؟ قال: المرأة الحسنة في المَنْبَت السُّوء[3]. وقال يحيى بن أكثم: لا يفتنكم جمالُ النساء عن صَراحة النَّسَب، فإنَّ المناكح[4] الكريمة مَدْرَجة الشرف.

وقال عثمان بن أبي العاص لأولاده: المناكِح مُغْتَرَس فلينْظُرِ المرءُ حيث يَضَع غَرْسَه، فإنّ عِرْقَ السوء يُعدي، ولو كان بمَدحين.

(1) النُّطف: جمع نطفة، وهي المَنِيّ، أي السائل المُبيضّ الذي تفرزه خصيتا الذَّكر.
(2) خَضْراء الدِّمَن: كناية عمّا ظاهِره جَيِّد وجميل، وباطنه شَرّ وقُبح.
(3) المنبت السوء: ذات الأسرة السيِّئة السيرة.
(4) المناكح: الزوجات.

قال الشاعر:

لا تَنْكَحَنَّ لَئيمةً لمعيشةٍ
تَبْقى اللَّئيمة والمعيشةُ تَذْهَبُ[1]

2 – اختيار ذوات الدين والعفة:

قال النبيّ ﷺ: تُنْكَح المرأة لدينها، ولمالها، وحَسبها، وحُسْنها، فعليك بذات الدّين، تَرِبَتْ يداك[2]. وقال: خيرُ النِّساء التي إذا أُعْطِيتْ شَكَرت، وإذا حُرِمَتْ صَبَرت، تَسُرُّك إذا نَظَرْتَ، وتُطيعك إذا أَمَرْتَ.

وقال محمد بن علي: اللهمّ ارزقْني امرأةً تسُرّني إذا نظرْتُ، وتطيعني إذا أَمَرْتُ، وتحفظني إذا غِبْت.

وقال خالد بن صفوان: إنّما الدنيا مَتاع، وليس من متاعها أفضلُ من امرأة صالحة.

وقال علي، رضي الله عنه: خير النساء العفيفة في فَرْجها، المغْتَلِمة[3] لزوجها.

وقيل لعائشة رضي الله عنها: أيُّ النساء أفضل؟ فقالت: التي لا تعرف عَيْبَ المقال، ولا تَهْتدي لمَكْر الرجال، فارغة القلب إلا من الزينة لبَعْلها، والإبقاء في الصِّيانة على أهلها.

وقيل: إياكَ والحمقاء، فنِكاحها قدر وولدها ضائع.

---

(1) أي: لا تنكح امرأة بسبب مالها.
(2) تَرِبتْ يداك: دُعاء للآخر بالخير.
(3) أي: التي تشتهي نكاح زوجها.

3 - اختيار الحسان والنهي عن القباح:

قال النبي ﷺ: إنّما النِّساء لُعَبٌ، فمن اتخذ لعبة فَلْيَسْتَحْسنها. وقال: أَعْظم النساء أَحْسَنُهن وجوهًا وأرْخَصُهن مُهورًا.

وجاءت امرأة إلى أبي الحسن، وقالت: يا أبا الحسن أَتُفْتي الرجال أن يتزوَّجْنَ على النساء؟

قال: نعم.

فقالت: أَعَلى مثلي؟ وكشفت قِناعها عن وَجْه كالقمر. فقال الحسن لما وَلّتْ: ما على رجل مثل هذه في زاوية بيته ما أقبل عليه من الدنيا وما أدْبَر.

وقيل لرجل: أي النساء أشهى؟ قال: التي تخرجُ من عندها كارهًا، وتخرج إليها والهًا.

4 - التحذير من الحِسان:

شاور رجل حكيمًا في التزوج، فقال له: إياكَ والجمالَ.

فلَنْ تُصادف مَرْعًى مُمْرِعًا أَبَدًا
إلّا وَجُدْتَ لَهُ آثارَ مَأْكولِ[1]

وقال: الجمالُ للرِّجال مَطْمَع، وأنشد:

لا تَطْلُب الحُسنَ إنَّ الحُسْنَ آفتُه
أَنْ لا يَزالَ طَوالَ الدَّهْرِ مَطْلوبا

(1) مُمْرِعًا: مُخصبًا.

وما تُصادِفُ يَوْمًا لؤلؤًا حَسَنًا
بين اللآلئ إلّا كانَ مَثْقوبا

وقيل لحكيم تَزَوَّج بقبيحة: هلّا تزَوَّجت بحسناء. فقال: اختَرْتُ من الشّرِّ أقَلَّه.

5 – الاستدلال عليها بذويها:

قال علي بن عبيد الله: إذا أردتَ أن تتزوَّجَ بامرأة، فانظرْ إلى أبيها وأخيها، فإنها رابطة بُطُنبِ(1) أحدهما.

وأنشد للعُجَير السَّلوليّ:

إذا كُنْتَ تَبْغي لِلْجَهالةِ أيِّمًا(2)
مِن الناسِ فانْظُرْ مَنْ أبوها وخالُها
فإنَّهما مِنْ شَكْلِها وهْي مِنْهما
كما جُدِبَتْ يَوْمًا بِنَعْلٍ مِثالُها

6 – اختيارهن في الطول والقِصَر:

قال الربيع بن زياد: مَنْ أراد النَّجابة، فَعَليه بالطُّوال، ومن أراد اللَّذّة فبالقِصار فإنَّهنَّ لذيذات النّكاح.

وقال الحجاج: من تزوَّجَ قصيرة، فلم يجدْها على الموافقة، فَعَليَّ مُهْرُها؛ ويُسْتَحْسن فيه ما قال ابن عجلان:

(1) الطُّنُب: الحَبْل.
(2) الأيِّم: المرأة التي لا زوجَ لها.

ومُخْمِلَةٍ باللحمِ مِنْ دونِ ثوبِها
تَطولُ القِصارَ والطُّوالُ تطولُها[1]

7 - الرغبة عن العجائز:

قيل لرجل تزوَّجَ: كيف المرأة التي تزوَّجْتَها؟ قال: نَصَف[2]. قال: شَرٌّ نِصْفيها حَصَلَ في يدك، ثم أنشد:

لا تَنْكَحَنَّ عَجوزًا إنْ أتوْك بها
واخْلَعْ ثيابَك مِنْها مُمْعِنًا هَربَا
فإنَّ أَتَوكَ وقالوا إنّها نَصَفٌ
فإنَّ أحْسَنَ نِصْفَيْها الذي ذَهَبا

وقال حكيم: إنَّ خيرَ نصفي الرجل آخِرهما: يذهَبُ جَهْلُه، ويثوبُ حِلْمه، ويجتَمع رَأيه، وشَرُّ نِصفي المرأة آخِرهما: يَسوء خُلُقها، ويُحدُّ لِسانُها، ويَعْقُم رحمها.

وقال: لا تأكلْ، ولا تركبْ، ولا تنكَحْ، إلا فَتِيًّا.

وقيل: مُضاجعة العجوز يُخاف منها مَوْتُ الفَجْأة.

وقال الشاعر:

ولا تَنْكَحَنَّ الدَّهْرَ ما دُمْتَ أيِّمًا[3]
مُجَرَّبَةً قَدْ مُلَّ منها ومَلَّتِ

---

(1) أي: متوسِّطة في الطول.
(2) النَّصَف: المتَوسِّطة العُمْر.
(3) أي: لا تنكح، ما دمْتَ حيًّا، امرأة كانت قد تزوَّجت سابقًا.

وقيل لبعض مَنْ فَضَّلَ العجائز: إنَّ اختيارَ الكبيرة على الصغيرة لِعَدَم اللُّبّ[1]، واسترخاء الزّبّ[2]، والتماس سهولة العلاج للعَجْز عن الإيلاج.

فقال: كلّا، العجوز أقنعُ باليسير، وأصبَرُ على تَقَلُّب الدهور، وأقلُّ مشاغبةً ومجاذبةً، تُؤثر التَّذَلُّل، تَصْبر على الإقلال، وتؤمن مِنْ ولادتها الزيادة في العيال، إن اتَّسَعَ بَعْلُها[3] صَانَتْ مالَهُ، وإنْ ضاقَ سترَتْ حالَهُ، نِعْمَ قعدة الغيور، ومطيّة ذي الأير العثور، لا تسبق إليها الظنون، ولا تثبت معها القرون، ألوف عروف، غير غروف ولا عَيوف.

8 - اختيار الأَبكار والثّيّبات[4]:

قال النبيﷺ: عليكم بالأبكار، فإنّهن أطيبُ أفواهًا، وأنتَقُ أرْحامًا.

وقال عليّ ﷺ: إنَّ المرأة لا تنسى أبا عُذْرتها[5].

وقال حكيم لمن استشاره: أما البِكْرُ فلَكَ لا عَلَيك، وأما الثَّيِّب فلَكَ وعليك، وأما ذات الولد فعليكَ لا لك.

---

(1) أي: لعدم الفِطنة والذكاء.
(2) الزبّ: قضيب الرجل.
(3) أي: اغتنى.
(4) الأبكار: جمع بكْر، وهي المرأة العذراء. الثّيّبات: جمع ثَيِّب، وهي المرأة غير العذراء.
(5) أي: لا تنسى من افتَضّ بكارتَها.

وقيل: إياكَ والحنّانة، والمنّانة، والأنانة، والحدّاقة، وذات الدايات. فالحنّانة التي تحنّ إلى ولدها مِنْ غيرك، والمنانة التي تمنُّ بمالها على زوجها، والأنّانة التي تئِنُّ من غير وجع، والحَدّاقة التي تُحَدِّق إلى كلِّ شيء، فتقول: ليتَه لي، وذات الدايات التي عندها عجوز تقول: هي دايتي.

وقيل: إياكَ والرَّقوب الغَصوب القطوب العلياء الرقياء الجنانة المنانة.

وقيل: إنْ لم تتزوج بكرًا، فتزوَّجْ مُطَلقة، ولا تتزوج مميتة، فإن المطلقة تقولُ لها لو كان فيكِ خيرٌ لما طَلَّقك زوْجُك، والمُميتة تقولُ لك: رحَمَ الله فلانًا قد كان لي خيرًا مِنْك بكذا.

وقال علي بن الجهم: انشدْتُ امرأة:

قالوا عَشِقْتَ صَغيرةً فأجَبْتُهم
أشْهى المطيِّ إليّ ما لَمْ يُرْكَبِ
كَمْ بَيْنَ حَبَّةِ لُؤلؤٍ مَثقوبةٍ
نُظِمَتْ، وحَبَّةِ لؤلؤٍ لم تُثْقَبِ[1]

فأجابتني:

إنَّ المطِيَّةَ لا يَلَذُّ رُكوبُها
حتى تُذَلَّلَ بالزِّمامِ وتُرْكَبا

(1) نُظِمَتْ: أُدْخِلَت في السِّلْسال أو العقد. والمعنى: الفرقُ كبير بين العذراء وغير العذراء.

والـدُّرُّ لـيـس بـنـافـعٍ أربـابَـه
حتى يُجَمَّعَ في النِّظامِ ويُثْقَبا[1]

وكانت عند الأحنف[2] امرأة، فطلَّقها وتزوَّجها ابنُ عَمّ لها، فكتب إلى الأحنف:

إنْ كُنْتَ أزْمَعْتَ أمرًا فامْضِيَنَّ لهُ
إنْ الغَزالَ الذي ضَيَّعْتَ مَشْغولُ

فكتب إليه الأحنف يقول:

إنْ كانَ مُشْتَغِلًا، فاللهُ يُصْلِحُه
فَقَدْ لَهَوْنا بأمْرٍ مِنْهُ مَوْصولِ
ولَنْ تصادِفَ مَرْعىً مُونِقًا[3] أبدًا
إلّا وَجَدْتَ بـه آثارَ مأكولِ

وقيل للأحنف: فلان تَزَوَّج بالمرأة التي كانت تَحْتك. فقال: أما أنا فقد كَفَيته الصَّيْحَة[4]، وسَهَّلْتُ عليه العَوْرة.

9 – اختيار أجناس النساء:

قال عبد الملك بن مروان: مَنْ أراد النجابة، فعليه بقَيْنات[5]

(1) النِّظام: الخيط الذي يُجْمع فيه اللؤلؤ.
(2) هو الأحنف بن قيس سَيِّد قبيلة تميم، وأحد العظماء الفُصحاء الشجعان الفاتحين.
(3) مونقًا: مخصبًا.
(4) أي: وفَّرْتُ عليه سماع صُراخ المرأة عندما تُفْتَضُّ بكارتها.
(5) القينات: جمع قيْنة، وهي الجارية العبدة، أو المُغنّية.

فارس، ومن أراد النَّباهة فَقَيْنات بَرْبَر، ومن أراد الخِدمة فبنات الروم.

قال المتنبي في تَفْضيل البدويات:

أيْنَ المُعيرُ مِنَ الآرامِ ناظِره
أو غير ناظِره في الحُسْنِ والطِّيبِ

قال سعيد الرستمي:

فَدَتْ غازلاتُ الشَّعْرِ أبْكارَ فارسٍ
وإنْ وكلَتْ بي هَجْرَها وبعادَها
إذا نُصَّتِ التِّيجانُ فوقَ رُؤوسِها
وأرْسَلْنَ مِنْ تِلْكَ الرؤوسِ جِعادَها
ولم أتَّبِعْ سُمْرَ العِراب وأُدْمَها
ولم أتَشَوَّقْ جُلَّها وسُعادَها

10 – مَدْح الولود وذَمّ العقيم:

قال النبي ﷺ: سَوْداء ولود خَيْر من حَسْناء عقيم.

وقيل: مَثَل الحسناء العاقر كَشَجرة يَكْثر زهرها ويقِلُّ ثمرها.

وذمَّ أعرابي امرأةً، فقال: ما بَطْنها بوالد، ولا ثَدْيها بناهد، ولا فوها ببارد، ولا شَعْرها بوارد.

وقيل لأعرابي: أيُّ النساء أكرم؟ فقال: التي في بَطْنها غلام، وفي حُجْرها غلام، ولها مع الغِلمان غلام.

منْ خَطَبَ امرأة فخدعها على الجِماع:

خَطَبَ مُعَلِّم امرأةً، وابنُها في مكتبه، فامتنَعَتْ عليه، فضرب الابنَ، وقال له: لماذا لم تقلْ لأُمّكَ: أيرُ المعلم كبير؟ فعاد الصبي إليها شاكيًا، فوقع في قلبها، وبعثت إليه: أحضِرْ شهودًا، وتزوَّجْ بي على بركة الله.

وقال رجل لامرأة خَطَبها: والله لأملأَنَّ بَيْتَكِ خيرًا، وحِرَكِ أيرًا. فتزوجته كما ظَنَّتْ، فلم تجِدْه كذلك، فقالت:

قَـدْ رَأَيـنـاك فـمـا أعْـجَـبْـتـنـا
وبَـلَـوْنـاكَ فـلـمْ نَـرْضَ الـخـبـر[1]

وقال رجل لامرأة: هل لكِ في ابن عمٍّ كاسٍ من الحَسَب عارٍ من النَّسَب، يَتَصَلْصَل مَعَك في دارك، ويَقْلبُك يمينك لشمالك، يواصل ثلاثةً في واحد، يدخل الحمّامَ طرفي النهار؟

فقالت: لا يَسْمَعَنَّ هذا الخبر منك أحد.

وخطب رجلٌ امرأة، فقالت: لي شروط: من المهْر ألف دينار، ومن النَّفَقة كلّ يوم كذا، ومنَ الثياب كذا!

فقال: نعم ولكن لي عيوبٌ إنِ احتملتها.

فقالت: وما هي.

(1) بلوناك: اختبرناك.

قال: أنا شَرِه بالجِماع أسْتَكْثِر منه، وأُبطئ الفراغَ، وأُسْرِع الإفاقة[1].

فقالت المرأة: يا جارية، أَحْضري أهلَ المحلَّة تشهدُ على بَرَكة الله، فالرجل سارِح لا يعرفُ الخيرَ من الشر!

من تَوَصَّل إلى خُطبة امرأة بما لا يُنفق:

قال أبو العيناء: خطبتُ امرأة، فلما رأَتْني استقبحتْني، فكتبتُ إليها:

ونُبِّئْتُها لَمَا رَأَتني تنكَّرَتْ
وقالت: دَميمٌ لا رَواءٌ ولا جِسْمُ[2]

فإنْ تنفري مِنْ قُبْحِ وَجْهي فإنني
أَديبٌ أريبٌ لا عَييٌّ ولا فَدْمُ[3]

فقالت: يا ماصَّ بَظَر أمه، ألِديوان الرسائل أُريدك؟

ونظرت امرأة إلى زوجها وهو يجيد الطعن في الحرب فقالت: رَبِّ افْنِه تحتَ اللِّواء. فقالوا لها: أليسَ يجيدُ الطعْنَ؟ فقالت: أما الطعن الذي ينفعني، فلا.

(1) أي: أُبْطِئ في الإنزال، وأسْرِعُ في طلب النكاح من جديد.
(2) الدَّميم: البَشِع.
(3) العَيِيّ: العاجز عن الإفصاح. الفَدْم: الغَشيم، الجاهِل.

11 – الحثّ على تزويج الأيّم:

قال الله تعالى: ﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ﴾ [النور: 32]. وقال حكيم: عليكَ بتزويج حرمتك إذا جاء كُفْؤها، فليس بعد مَنْعها من الأكفاء[1] إلا تعريضها للأذنياء، ومن حَظِّك تنفيق أمك.

وقال الأحْنف: لأفعى يُخْتَرَسُ في جوانب بيتي أحَبُّ إلَيَّ من أيِّمٍ أوْدَعتها كُفْأَها.

ورئي في سوق بغداد قمَطْر فيه صبيّ، وعند رأسه كيس فيه مائة دينار مكتوب: هذا الشّقيّ ابن الشقية ابن القدح والرطلية، رَحِمَ اللهُ من اشترى له جارية بهذه الدنانير، فهذا جزاء من عَضَلَ أَيِّمة.

12 – إظهار المرأة الرغبة في النكاح:

كان لهمام بن مرة بنات لا يُزَوِّجُهن من شدَّة الغيرة، فاجتَمَعْن يوماً وتشاكَيْن[2]، فقالت الصغرى: أنا لكُنَّ! فقالت لأبيها:

أهمَّامُ بنَ مرةَ حَنَّ قلبي
إلى ما تحتَ أثواب الرِّجالِ

(1) الأكْفاء: جمع كُفْء، وهو المُماثِل المُشابه النَّظير المناسِب.
(2) أي: تبادَلْنَ الشكوى.

فقال: تُريدين سَراويلًا؟ فقالت:

أَهــمَّــامُ بــنَ مــرةَ حَــنَّ قــلــبــي
إلــى حَــمْــراءَ مُــشْــرِقَــةِ الــقَــذالِ[1]

فقال: تريدين ناقة؟ فقالت:

أَهــمَّــامُ بــنَ مــرةَ حَــنَّ قــلــبــي
إلــى أَيْــرٍ أَسُــدُّ بــهِ مَــبــالــي[2]

فقال: قاتَلَكُن الله! وزوَّجَهُنَّ.

13 – عجوز راغبة في الزواج:

مرضت عجوز، فأتاها ابنها بطبيب، فرآها الطبيب مُتَزيِّنة بأثواب مصبوغة، فعرف ما بها، فقال الطبيب: ما أحْوَجَها إلى زوج!

فقال الابن: ما أحوجَ العجائز للأزواج؟

فقالت: ويحكَ، الطبيبُ أعلمُ منك على كلِّ حال.

ورغبت عجوز إلى أولادها أنْ يُزَوِّجوها، وكان لها سبعة بنين، فقالوا: لا، إلا أن تَصْبري على البرد مُتَعَرّية لكلّ واحد منا ليلةً، ففعلتْ، فلما كانت السابعة ماتَت؛ فَسُمِّيت أيام العجوز.

---

(1) القذال: الرأس.
(2) المبال: مكان البَوْل، والمقصود فَرْجها.

وقالت امرأة لبنيها:

أيـا بـنـي إنّـنـي لَـنـاكِـحَـهْ
وإنْ أبَـيْـتُـمْ إنّـنـي لَـجـامـحَـهْ
هانَ عليْكُمْ ما لَقيتُ البارحَهْ
منَ الحِكاكِ والعُروقِ الطامحَهْ

وقال حكيم لامرأة تَعَرّضَتْ له:

وضـاحِـكَـةٍ إلـيَّ مـن الـنّـقـاب
تُـلاحِـظُـني بطَرْفٍ مُسْتَرابِ[1]
فـمـا زالـت تُـجَـشّـمُـني طـويـلًا
وتأخُذُ في أحاديثِ التّصابي[2]
فـقـلـتُ لـهـا: حَـلَـلْـتِ بِـشَـرٍّ وادِ
كَريهِ المُجْتَني قَحْطِ الجنابِ
مَتى تُشْفى العجوزُ إذا اسْتكانَتْ
بـأيْـرٍ لا يَـقـومْ عـلـى الـشّـبـابِ

14 – احتيال المرأة في التزويج منْ رجل:

كان لرجل ابنة، ولها ابن عم مشغوف بها، وهو يرجو أن يتزوج بها، فجاءه رجل، فأرغبه في الصّداق[3]، فقالت

(1) مُسْتراب: فيه ريبة.
(2) تجشّمني: تُكلّفني ما لا أطيق. والتّصابي: حديث الغرام.
(3) الصّداق: المَهْر.

الجارية لأمِّها: ما أحْسَبُ أبي يُرَبّي ابن أخيه صغيرًا، ويقطعه كبيرًا.

فقالت: كان ذلك قَدَرًا مُقدّرًا.

فقالت الجارية: أنا حُبلى من ابن عمي.

فقالت أمَّها: ما تقولينَ، ويحك؟

فقالت: أتكذبُ الحرةُ على نفسها؟ فأخبرت أباها، فزوَّجها من ابن عمها. فلما وقع العَقْد، قالت الجارية: بَرِئْت من الإسلامِ إنْ رأى وجهي إلى سنة، ليعلم أنّي مُتَقَوّلة فيما ادّعيت(1).

15 – اختيارها الكهول من الرجال وذوي الشعور:

قالت امرأة: لا يُعجبني الشاب يمعُج مَعْجَ(2) المهْر طَلْقًا أو طَلْقين، ثم يربض بناحية الميدان، ولكن أين أنت من شيخ يضَع قبَّ استِه بالأرْض ثم سَحْبا وجَرًا.

ولما تزوج عثمان، ﷺ، بنت الفرافصة، قال: لا تكرهين ما ترين من الشّيب، فانّ وراءَه ما تحبين!

فقالت: إنّي من نِسْوة خيرُ أزواجهنّ الكهول.

فقال: إنّي قد جاوزتُ حَدَّ الكُهول إلى الشيخوخة.

(1) أي: كذبتُ فيما ادّعيت.

(2) يمْعج: يضرب بسرعة.

فقالت: أفنيتَ عمرَك في خير ما يفنى فيه العمر.

وقيل لامرأة: أما تكرهين شيبَ زوجك؟ فقالت: إنّه نشأ فينا، وإنما تكره المرأة الرجلَ الشائب إذا كان غريبًا، ورأته بديهة.

16 – اختيارهنّ الشّبَان والمُرْد:

قالت جارية لأخرى: التحَفْتُ على غلام مَغفوج[1]؟ فقالت: بذلك كَبرَ أيرُه، وكثُرَ خيره، ولكن من شؤمك أنك عشقت من يغطيك بلحيته ويَغْرزك بشَعْرَته.

قال أبو تمام:

أَحْلى الرِّجال مِن النِّساء مَواقعًا
مَنْ كانَ أَشْبَهَهُم بهنَّ خُدودا

وقال الأعشى:

وأرى الغواني لا يواصِلْنَ امْرأً
فَقَدَ الشَّبابَ وقد يَصِلْنَ الأَمْردا[2]

وقال أعرابي:

يروقُ الغَواني مُجدِبُ الخدِّ خالعُ

(1) أي: غلام لا لحيةَ له.
(2) الأمْرد: الذي لا لحية له.

17 – ميلها إلى ذي المال:

قال امرؤ القيس:

أراهـنَّ لا يُـحْـبِـبْـنَ مَـنْ قَـلَّ مـالُـه

قيل لابن سيابة: قد كرهَتْ امرأتُك شيبَكَ، فمالت عنك. فقال: إنّما مالت إلى الأنذال لقلّة المال، والله لو كنتُ في سنّ نوح، وشيبةِ إبليس، وخلقة منْكَر ونكير[1]، ومعي مال، لكنتُ أحبَّ إليها من مُقتّرٍ[2] في جمال يوسف وخَلق داود وسنّ عيسى، وجود حاتم، وحِلْم أحنف بن قيس.

18 – اختيار الأخيار:

قال ﷺ: من زَوَّجَ كريمته من فاسِق، فقد قَطَع رَحمَها.

وقال الحسن لرجل استشاره في تزويج بنته: زَوِّجْها من تقيّ، فإنّه إنْ أحبَّها أكرمها، وإنْ كرهها لم يظلمها.

وقيل لعبد الله بن جعفر: أتُنْكِحُ ابنَتَك الحجاجَ؟ فقال: أنْكَحْتُموه دينكم، والدينُ أجلُّ من بُضْع[3] المرأة.

19 – الكفاءة:

قال ﷺ: تَخَيَّروا لنُطَفِكم، وأَنْكِحوا الأَكفاء[4].

(1) مُنْكَر ونكير: مَلاكا القَبْر.
(2) المُقَتِّر: الفقير.
(3) بُضع المرأة: زواجها.
(4) أي: أحْسِنوا اختيار نسائِكم، وتزوَّجوا من يكنَّ من أمثالكم.

وقال عُمَر، ﷺ : لأمنعنّ فروجَ ذوي الأحساب إلّا من الأكفاء.

وقال أبو يوسف: الكُفْء على الحقيقة المساوي في النسب والمال والدين.

وقال بعضهم: الناسُ أكفاءٌ إلا حائكًا أو حَجّامًا.

وقال المنصور: أعداؤنا أكْفاؤنا؛ يعني بني أمية.

وقيل: لما جُنَّ فلانُ المؤذِّن، تزوَّجَ بابنةِ فلان المُقْرئ. فقال: إنَّهما سَيلدان مُصْحَفًا.

20 – من خَطَبَ امرأة فلم يَتَزَوَّجها:

خطب زياد إلى سعيد بن العاص ابنَته، فكَتَب إليه سعيد: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ۝٧﴾ [العلق: 6-7].

ولما انتهى المغيرة إلى دار هند بنت النعمان بن المنذر قال: قد جئتك خاطبًا. قالت: والله ما جئتني لمالي وجمالي، وإنما أردت أن يقال في محافل العرب: نَكَحَ بنتَ النعمان، وإلا فَأَيُّ خيرٍ في أَعْور وعَمْياء؟

فقال لها: ما أمْرُكم؟

فقالت: أصبَحْنا وما في العرب إلا من يَرْهَبُنا، وأمسينا وما فيهم إلا من نَرْهَبه.

وكانت في دار ابن عباس يتيمة، فخطبها رجل، فقال له: لا أرضاها لكَ.

قال: قد رضيتُ بها.

فقال: الآن لا أرضاكَ لها!

وامتنعت امرأة من رجل خَطَبها، فقيل لها في ذلك: فقالت: لأنهم يُقِلّون الصَّداق، ويُعَجِّلون الطلاق.

وكتب عبادة بن الصامت إلى معاوية لمَّا خَطبَ إليه:

فلوْ أَنَّ نَفْسي طاوَعَتْني لأصْبَحَتْ
لها حَفَدٌ مما تعدُّ كثيرُ
ولكنّها نَفْسٌ عليَّ كريمةٌ
عَيوفٌ لأصْهارِ الرِّجالِ قَدورُ

وقال دعبل:

فلا تُنْكِحْ كَريمَك نَهْشَليًّا
فَتَخْلُطَ صَفْوَ مائِكَ بالغُثاءِ[1]

وخطبَ قرشيٌّ ابنة الكميت، فجعل يتبَجَّحُ عليه، فردّه الكميت، وقال له: فإنّا إنْ زَوّجْناك، لم نبلغ السماء، وإنْ ردَدْناك لم نبلغ الماء.

21 - تأسُّف من خَطَب امرأة، فلمْ يتَّفقْ تزوّجه بها:

خطبَ رجلٌ امرأةً، فوُعِد بها، ثم تزوّج بها غيره، فقال:

(1) الغثاء: الرَّغوة، وما يجرفه السَّيل من أوراق أو مِمّا على وجه الأرض.

لَئِنْ كانَ أدلى خاطِبًا فَتَعَذَّرَتْ
عليه وفاتَتْ رائدًا فَتَخَطَّتِ
فما تَرَكْتُهُ رغبةً عنْ جمالِه
ولكنَّها كانتْ لآخرَ خُطَّتِ

وفي المعنى ليهوديّ:
سلا رَبَّةَ الخِدْرِ ما شأنُها؟
ومِنْ أيِّ ما فاتَنا تَعْجَبُ؟
فلَسْنا بأوّلِ مَنْ فاتَه
على رُغمِه بعضُ ما يَطْلُبُ
وكائِنْ ترى البَأْسَ مِنْ خاطبٍ
تَزَوَّجَ غيرَ الذي يَخْطُبُ
وزَوَّجَها غيرَه دونَه
وكانت له قَبْلَهُ تُخْطَبُ

وقال المغيرة: ما خَدَعني أحد ما خدعني غلامٌ من بني الحارث، فإنّي ذكرت له امرأة أريد أن أتزوَّجَ بها، فقال: لا تفعلْ، فإنّي رأيتُ رجلًا يُقَبِّلها، ثم ذهب، فتزوَّج بها، فقلت له في ذلك، فقال: رأيتُ أباها يُقَبلها!

22 – تمنّي طلاق امرأة مرغوب فيها:

قال الشاعر:
فما أكْثَرَ الأخْبارَ أنْ قَدْ تَزَوَّجَتْ
فَهَلْ يأتيَنّي بالطّلاقِ بشيرُ؟

وشكا رجل إلى قَرّاص الأزدي تزويج امرأة كان يريد أن يتَزَوَّجها، فقال:

تَربَّصْ بها رَيبَ المَنونِ لَعَلَّها
تُطَلَّقُ يومًا أو يَموتُ حليلُها[1]

23 - تَوَجُّع مَنْ صاهَرَ غيرَ كُفْئِه:

دخلت هاشمية على معاوية، فقال لها: مَنْ زَوْجُك؟ فذكرَتْ مجهولًا. فقال: أمِثْلُك يُنْكَحُ مَنْ لا يُعْرَف؟ فأنشَدَت:

إنّ القيومَ تنكحُ الأيامى النِّسوة الأَرامل اليتامى
المرءُ لا يبقى له سلامى

ولما ظفرَ قتيبة بابنة يزدجرد، وتزوج بها، قال لندمائه: أترونَ ابنَها يكون هجينًا؟ فقالت هي: نعم، من قِبَل الأب:

وقالت هند بنت النعمان في زوجها ابن زنباع:

وهَلْ هِندُ إلا مُهرَةٌ عَربيةٌ
سَليلةُ أفراسٍ تَحَلَّلَها بَغْلُ
فإنْ نَتَجَتْ مُهْرًا كريمًا فَبالحري
وإن يَك افزاقٌ فجاء بِهِ الفَحْلُ

(1) المنون: الموت. وريب المنون: مصائب الموت. حليلها: زوجها.

وقال:

بكى النَّسَبُ الصافي بعَيْنٍ سَخِيَّةٍ
مِنَ النّسَبِ الموصومِ أن يُجْمَعا معًا

وجاء رجل إلى سعيد بن المسيب فقال: رأيتُ حِدأة[1] على شرف مسجد الرسول ﷺ، فقال: ان صدقَتْ رؤياك، فسيتزوَّج الحجاج من أهل البيت؛ فتزوَّجَ بأم كلثوم بنت عبد الله بن جعفر.

24 – المتزوِّجة من ذي زيٍّ قبيح:

قال شاعر:

الزَّوْجُ زوجانِ: ذو مالٍ يُعاشُ بِهِ،
وذو شبابٍ شَديدِ المَتْنِ كالمُرَسِ
فلا شَباًبا ولا مالًا ظَفَرتَ به
لكنّ ما شِئْتَ من لؤمٍ وَمنْ دَنَسِ

وقال علي بن المنجم:

لم يَرْضَ إلا بالكَريمةِ مَرْكَبًا
ولربّما امْتَنَعَتْ عليهِ أتانُ[2]

ولما مات عمر بن عبد العزيز، تزوَّجَ بامرأته فاطمة بنت عبد

(1) الحِدَأة: طائر كبير من الجوارح يصيد الجرذان.
(2) الأتان: أنثى الحمار.

الملك سليمان بن داود بن مروان، وكان أعور فاجرًا، فقال الناس: هذا النذل الأعور، يعنون قول جميل:

نـذلٌ لـعـمـرُك مـن يـزيـدٍ أعـورُ

(البيت) وقال آخر فيمن طلَّقها سري وتزوَّجها دنيء:

وكُنْتِ كذي النَّبْلِ الذي راشَ نبْلَه
بريشِ الخوافي ثم بدّلَها الغنا

25 - ذَمَ مُتَشَرِّف بتزويج كريمة:

رأوا رفعةَ الآباء أعيا مرامها
عليهم فراموا رِفْعَةً بالحلائلِ
إذا ما أعالي الأمر لم تُعْطِك المنى
فلا بأسَ باسْتِنْجاحِها بالأسافِلِ

الفصل الثالث

مما جاء في قلة الصَّداق وكُثْرته، وفي وصايا الأبوين

قال النبي، ﷺ: أعظمُ النساءِ بركةً أحسنُهن وجوهًا وأرْخَصُهن مهورًا.

وقيل: لا تغالوا بمهور النساء، فإنّها لو كانت مَكْرُمة في الدنيا، أو تقوى عند الله، كان أولى بكثرتها رسول الله، ﷺ، وما أصْدَقَ امرأةً من نسائه ولا من بناته أكثر من اثني عشر أوقية، وذلك أربعمائة وثمانون درهمًا.

وقال عمر، رضي الله عنه: لا يبلغُني أن أحدًا تجاوز بصَداقه صداق النبي، ﷺ، إلا استرجَعْتُ منها، فقامت امرأة فقالت: ما جَعَل الله ذلك إليك، يا ابن الخطاب، فإنه يقول: ﴿وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُواْ مِنْهُ شَيْـًٔا﴾ [النساء: 20]. فقال عمر: ألا تعجبون من إمام أخطأ، وامرأة أصابت، ناضَلَتْ إمامَكم فنَضَلَتْه[1]؟

1 – وصية الختن[2] بها وإكرامه لها:

قال عثمان بن عنبسة بن أبي سفيان: أرسلني أبي إلى

(1) ناضَلَتْه: بارَتْه. فنضلَتْه: تفوّقت عليه.

(2) الختن: الصهر.

عمي لأخطب إليه ابنته، فأقْعَدني جنبَه، وقال: مَرْحبًا بابنِ لم ألده، أقربُ قريب خَطَب إلي أحبَّ حبيب، لا أستطيع له رَدًّا، ولا أجد من تشفيعه بدًّا، قد زَوَّجْتُكما، وأنتَ أعزُّ علي منها، وهي أنوطُ بقلبي(1)، فأكرِمْها يعذُبْ على لساني ذكرُك، ولا تهنْها فيَصْغر عندي قَدْرك، وقد قرّبتك من قربك، فلا تباعدْ قلبي من قلبك.

وكتب الصابئ عن عز الدولة إلى أبي تغلب، وقد نقل ابنته إليه: قد وجَّهت الوديعة، وإنما نقلت من وطن إلى سَكَن، ومن مَغْرس إلى مَغْرس، ومن مأوى عزّ وانعطاف، إلى مأوى برّ وألطاف، ومن مَنْبت درَّت لها نعماؤه إلى منشأ تعود عليها سماؤه، وهي بضعة(2) مني انفصلت إليك، وثمرة من جَنى قلبي حَصَلت لديك. ولا ضياع على من تضُمَه أمانتك ويشتمل عليه حفظك ورعايتك.

وكان الحسن إذا دخل خَتَنه يقول: مرحبًا بمن كفى المؤونة وستر العورة! ثم يتَنَحّى له عن مكانه.

2 - حَثُّ الرجل على كفاية المرأة:

قال الله تعالى: ﴿فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖ﴾ [البقرة: 229].

(1) اي: أشدّ تعلُّقًا بقلبي.
(2) بضعة: قطعة.

وخطب رجل إلى قوم، فقال أحدهم: إنْ عرفتَ حقَّ المرأة، زَوَّجْناك. فقال: حَقُّها أن لا ينسى ذكرُها، ولا يُهْتَك سِترها، ولا يُخوِجُها إلى أهلها. فقالت المرأة: زَوِّجوه.

3 - وصِيّة الأبوين البنت بحسن معاشرة الزوج:

زوَّجَت امرأة بنتها فقالت: يا بُنَية، لو تركتِ الوصية لأحد لحسْنِ أدَب أو لِكَرَم حَسَب، لتركتُها لك، ولكنها تَذْكرة للغافل ومعونة للعاقل. يا بُنية، إنّك قد خَلَّفْتِ العشَّ الذي منه درجْتِ، والموضعَ الذي منه خرجتِ إلى وَكْر لم تعرفيه، وقرينٍ لم تَأْلفيه. كوني له أمَة، يكنْ لك عبدًا، واحفظي عني خصالًا عشرًا، تكنْ لكِ دَركا وذكرًا:

أما الأولى والثانية فحُسْن الصَحابة بالقناعة وجميل المعاشرة بالسَّمْع والطاعة، ففي حُسْن المصاحبة راحة القلب، وفي جميل المعاشرة رِضا الرب.

والثالثة والرابعة التفقُّد لموضع عينه والتعاهد لموضع أنفه، فلا تقعُ عينه منك على قبيح، ولا يشمَ أنفُه منك خبيث ريح، واعلمي أنّ الكحل أحْسَن الحسن المودود، وأنّ الماء أطيبُ الموجود.

والخامسة والسادسة، فالحفظ لماله والرعاية لِحَشَمه وعياله، واعلمي أنّ الاحتفاظ بالمال حُسْن التقدير والارعاء على الحشم حسن التدبير.

والسابعة والثامنة التعاهد لوقت طعامه والهداء عند مَنامه؛ فحرارة الجوع مُلهبة، وتنغيص النوم مَغْضبة.

والتاسعة والعاشرة لا تفشينَ له سرًّا، ولا تعصينَ له أمرًا، فإنك إن أفشيتِ سرَّه، لم تأمني غدْره، وإنْ عصيتِ أمْره، أوغرتِ صدره[1].

وقال أبو الأسود الدُّؤلي لابنته: إياكِ والغيرةِ فإنها مِفتاح الطلاق، وامسكي عليك الفَضْلين: فَضْل النِّكاح وفَضْل الكلام، وكوني كما قيل:

خُذي العَفْوَ مني تَسْتَديمي مَوَدَّتي
ولا تَنْطقي في سَوْرتي حين أَغْضَبُ[2]

4 - وصية الأبَوين بقُبْح معاشرة الزوج:

زوَّجَتْ امرأةٌ بنتَها، فقالت: يا بُنية، اقلعي زُجَّ[3] رُمْحِ زوجك أوّلًا، فإنْ أَقَرَّ، فاقلعي سِنانه[4]، فإنْ أَقَرَّ، فاكسري العظام بسيفه، فإنْ أقرَّ فاقطعي اللحم وضعيه على تِرْسه، فإنْ أَقرَّ، فضعي الإكاف[5] على ظهره، فإنه حمار!

---

(1) أي: أغْضَبْتِه.
(2) سورتي: غضبي.
(3) الزّجّ: الحديد في أسفل الرمح.
(4) السِّنان: نَصْل الرُّمح.
(5) الإكاف: ما يوضع على ظهر الحمار لِيُرْكَب.

قال شاعر:

عَليكِ يا سَيِّدةَ البَناتِ مَعْصِيةُ الزَّوْجِ إلى المماتِ
وداومي غَيْرتَه وشَتْمَه وقاتلي في كلِّ يومٍ أمَّه
وباعدي ما بينها وبَينَه وعينها فأسْخني وعَيْنَه

الفصل الرابع

في أمور الزّواج

1 – التهنئة بالزفاف والدعاء للزوجين:

قال خالد بن صفوان لرجل من باهلة: باليُمْن والبركة، وشدّة الحركة، والظَّفَر عند المعركة.

2 – استعلام حال الزوج في افْتضاض امرأته:

قيل لسليمان: كيف وجَدْت امرأتك؟ قال: ولِمَ أرْخِيَنَّ السِّتَرَ إذًا؟

قال شاعر:

أبا حَسَنٍ، قل لي وأنْتَ المُصَدَّقُ:
هل انجابَ ذاكَ العارِضُ المُتَفَلِّقُ[1]؟
وهلْ غابَ ذاكَ الحوتُ في قَعْرِ لُجَّةٍ
رأيتُكَ منها تَسْتَعِنُّ وتَفْرُقُ[2]؟

---

(1) المُتَفَلِّق: المُتَشقّق.
(2) تستعِنّ: من العنين. تفرق: تخاف.

فقـد قـيـل: إِنَّ الـبـابَ دونَـك مُغْلَقٌ
وإنَّ عـلـيـكَ الـرَّحْـبَ مـنـه مـضَـيَّـقُ

وكتب الصاحب إلى أبي العلاء الحسين بن محمد بن سهلويه لما تزوَّج بابنة أبي الحسن بن إسحق:

قَـلْـبي عـلـى الـجـمـرةِ يـا أبـا الـعـلا
فَـهَـلْ فَـتَـحْـتَ الـمـوضـعَ الـمُـقَـفَّـلا؟
وهـلْ فَـضَـضْـتَ الـكـيـسَ عَـن خَـتْـمِـهِ
وهَـلْ كَـحَـلْـتَ الـنـاظـرَ الأحْـولا؟
إنْ كـانَ قَـدْ قُـلْـتَ نَـعَـم صـادقًـا
فـابْـعَـثْ نِـثـارًا يَـمْـلأُ الـمـنـزِلا
وإنْ تُـجِـبْـنـي مِـنْ حَـيـاءٍ بـلا
أنـفـذْ إلـيـكَ الـقُـطْـنَ والـمـغـزلا

3 – الرُّخصة في تزويج الأم:

روي أن النبي، ﷺ، خطب إلى سلمة بن هشام أمَّه ضباعة بنت عامر، وزوَّج علي بن الحسين أمّه سلافة الكابلية مولى له ليحيى سنة في الإسلام. وممن زوَّجَ أمه عبيدة بن الجراح وخالد بن الوليد.

4 – المستَنْكِف منْ تزويج أمه:

تزوج مروان أم خالد بن يزيد، فلاحاه[1] يومًا، فقال له:

---

(1) لاحاه: بادَله الهجاء.

يا ابن الرطبة! فقال: مُخبِر مُختَبِر، ثم دخَلَ على أمه، فقال: أنتِ جلبْتِ عليّ هذا، وأنشدها هجاءً فيه:

أمـــا رأيـــتِ خـــالـــدًا يَـــهُـــمُّـــه
إنْ سُـلِـبَ الـمُـلْـكَ ونِـيـكَـتْ أمُّـه

فقالت: دَعْه لي، فلما علمتْ أن مروان قد امتلأ نومًا، عمدت إلى مخدة، فوضَعَتها على أنفه، فمات.

وكان رجل قاعد على باب داره وعنده صديق له، ورجل يدخل الدار، ويخرج، فقال له: من هذا؟ فقال: زوج أخت خالتي.

5 – المُعَيَّب بتزويج أمه:

قيل لأعرابي: إنَّ فلانًا زَوَّجَ أمَّه، وأخذَ مهرَها، فأيْسَرَ به[1]. فقال: أعوذ بالله من بعض الرزق!

وقال الجاحظ: معنى قول القائل: «يا ماصَّ بَظْر أمّه» يعني: آكلًا مهر أمه من غير أبيه!

قال شاعر:

رُبَّ حَـــلالٍ أَكْـــلُـــه   أَقْـبَـحُ مَـنْ نَـجْـسِ الـدُّبَـرْ[2]
مَـــنْ ظَـــنَّ مَـــهْـــرَ أمِّـــه   جَـبْـرًا لـــه فـــلا جَـبَـرْ

(1) أي: اغتنى.
(2) الدُّبر: المُؤَخرة.

وعاتبَ الصاحبُ بن عبّاد رجلًا زَوَّجَ أمه، فقال له: ما في الحلال بأس. فقال: كذا أحَبّ أن تكون لغة كل من أحَبَّ أن تُناك أمُّه. ثم قال فيه:

زَوَّجْتَ أمّكَ يا أُخَيَّ إلى الرِّجالِ على طبَقْ

وقال:

عَذَلْتُ[1] بتزويجه أمّه فقال: فَعَلْتَ حلالًا يجوزْ
فقلتُ حَلالًا كما قد زَعَمْتَ ولكن سَمَخْتَ بصَدْعِ العجوزْ

وقال ابن طباطبا:

قُلْ لِلْمُزَوِّجِ أمَّهْ يا أكْبَرَ الناسِ همَّهْ
أجلّ مجدٍ تَحَامى عليهِ تَسْكينُ غلمهْ
كَفَيْتَ أمَّكَ أمْرًا مِنَ الأمورِ المُهِمَّهْ

6 - جواز المُتْعة:

عَيَّرَ عبدُ الله بن الزبير عبدَ الله بن عباس بتحليله المتعة، فقال له: سَلْ أُمَّكَ كيف سَطَعت المجامر بينها وبين أبيك؟ فسألها، فقالت: ما وَلدْتُك إلا في المتعة. وسئل عن المتعة فقال: الذئب يكنى أبا حيدة، أي: ذلك حَسَنُ الاسمِ قَبيحُ الفعل.

وقال يحيى بن أكثم لشيخ البصرة: بمن اقتديتَ في جواز المتعة؟ قال: بعمر بن الخطاب، ﷺ. قال: كيف، وعمر

(1) عذلتُ: لُمتُ.

كان أشد الناس؟ قال: لأنَّ الخبر الصحيح أنَّه صعد إلى المنبر، فقال: إنَّ الله ورسوله قد أحلا لكما مُتْعَتَين، وإني مُحَرِّمهما عليكم، أو أعاقب عليهما، فقبلنا شهادته، ولم نقبل تحريمه.

وقال رجل لآخر: زَوِّجني أُمَّك متعةً. فقال: يا أحمقُ، إذا زَوَّجْتكها، فما معنى المتعة؟ إنما المتعة أن تُزَوِّج نفسها.

وقالت امرأة:

أقولُ للشَّيْخِ إذْ طالَتْ عُزوبتُه:
يا شَيْخُ هل لك في فُتْيا ابن عباس؟

7 – معاداة الزوجة للأصهار:

نَحرَ اعرابي جَزورًا[1]، فقال لامرأته: أَطْعمي أمي.

فقالت: أيّها أطْعِمُها.

قال: الورك.

فقالت: التي ظَهَرت بلحمة، وبَطُنت بشَحَمة، لا لعمري!

قال: الفخذ.

قالت: الكثيرة اللحم الطَّيِّبة المخ، لا لعمري.

قال: الكَتِف.

قالت: الحاملة اللحم من كلّ مكان.

---

(1) الجزور: ما يُنْحَر من الإبل لِلَحْمه.

قال: فما تُطْعِمينها؟

فقالت: اللِّحى التي ظهرت بالجلد، وبَطُنت بالعظام.

فقال: تَزَوَّدي إلى أهلِك، فأنتِ طالق.

8 – موافقة زوجين قَبيح وحسن:

نظرت امرأة عمران بن حطان في المرآة، وكانت جميلة، وزوجها قبيح، فقالت له: أنا وأنت في الجنة.

قال: ولِمَ؟

قالت: لأنك رُزِقْتني فشَكَرت، وأنا ابتليتُ بك فصبَرْت، والصابر والشاكر في الجنة.

وقال رجل لامرأته: ما خُلِقَ أحَبُّ إليّ منك!

فقالت: ولا أبغضُ إليَّ منك!

فقال: الحمد لله الذي أولاني ما أُحِبّ، وابتلاك بما تكرهين.

9 – مُوافقة قبيحين:

خطب أسدي قبيحُ الوجه امرأةً قبيحة، فقيل لها: إنَّه قبيح وقد تَعَمَّمَ[1] لك. فقالت: إنْ كان قد تَعَمَّم لنا، فإنا قد تَبَرْقَعْنا[2] له.

---

(1) تعمَّم: لبس العمامة.
(2) تَبَرْقَعَ: لبس البُرْقع، وهو قناع تستر به المرأةُ وجْهها.

واستقبحَ رجلٌ امرأة، فقال: وَيْلٌ لمن هذه ضجيعته! فلما رأى زوجها وكان في القبح مثلها، قال:

وافَقَ شَنٌّ طَبَقَهْ وافَقَهُ واعْتَنَقَهْ

وأنشد:

نزَلَتْ سَلْمى بسَلْمى مَنْزِلًا ذا عَدَواء

10 – وَصْف الفَوارك[1]:

تزوج رجل امرأة، فاجتَمَع معها في بيت، ففركته، فرمَتْ ببصرها للكوة، فرأت الصُّبح، فقالت:

وأنقَذَني بَياض الصُّبْح مِنه
لقَدْ أُنقِذْتُ مِنْ شَرٌّ طويلِ

وقال الجماز لامرأته في يوم غيم: ما يطيبُ في هذا اليوم؟ قالت: الطلاق!

قال شاعر:

لقَدْ أصْبَحَتْ عِرْسُ الفَرَزْدق ناشزًا
ولو رَضِيَتْ ريحَ اسْتهِ لاسْتَقَرَّتِ

وفي ضد ذلك قال رسول الله ﷺ: خَيرُ نسائكم التي إذا خلعت ثوبها، خلعت معه الحياء، وإذا لبسَتْه لبست معه الحياء؛ يعني مع زوجها.

(1) الفَوارك: جمع فاركة، وهي التي تبغض زوجها.

11 - الحثّ على حفظهنّ من الخمر والكتابة:

قيل: لا تُسْمِعُهُنَّ الغناء، فإنه داعيةُ الزنا. وذاقت أعرابية الخمر، فقالت: نساؤكم يشربن هذا؟ قالوا: نعم. قالت: زَنَيْنَ إذًا وربِّ الكعبة!

ورأى فيلسوف جارية تتعلم الكتابة، فقال: ليت شعري لمنْ يَصْقل هذا السيف؟ وقال: لا تَسْقِ السّهْمَ سَمًّا لتَرْميك به يومًا ما.

وقال عمر: جَنِّبوهُنَّ الكتابة، ولا تُسْكنوهنّ العرف.

وقيل: عَلّموهُنَّ سورة النور وجَنِّبوهنّ سورة يوسف.

وقال رجل: إياكَ أنْ تَتْرِكَ حُرْمتك تُصغي إلى قول ابن أبي ربيعة:

أَمِنْ آلِ نُعْمٍ أنتَ غادٍ فَمُبْكِرُ
غداةَ غَدٍ أمْ رائحٌ فَمُهَجِّرُ

فإنّه يُحِلُّ السّراويلات، ويُطرب الغانيات.

12 - الحثّ على شقائهنّ بالمغزل والمهنة:

قيل: ألزموا النساء المهنة.

وقال شاعر:

ونِعْمَ لَهْوِ المرأةِ المِغْزَلُ

وقيل لهند بنت المهلب زوجة الحجاج: تَغْزلين، وزوجُك أمير!؟ فقالت: سمعت أبي يقول: قال رسول الله، ﷺ:

أَطْوَلُكُنَّ طاقةً أعْظَمُكنَّ أجْرًا. والمغزل يَطْرد الشيطان، ويذهَبُ بحديث النفس.

13 - الحثّ على سترهن ومَنْعهن من الخروج:

دخل ابن أم مكتوم على النبي، ﷺ، وعنده بعض نسائه، فأقامها، فقالت: إنه أعمى، فقال: أَعُمْيٌ أنتُنَّ.

وقال سلمان: النساء عيّ وعَوْرة[1]، فداووا العي بالسكوت والعورة بالبيوت.

وقال سعيد بن سلمان: لأنْ يرى حَرَمي مائةُ رجلٍ مكشوفات خير من أن ترى حرمتي رجلًا منكشف.

وقيل للحطيئة: ما تركت على بناتك؟ قال: العرى فلا يَبْرَحْن، والجوع فلا يمرحن. وقيل لآخر فقال: الحافظين العري والجوع.

14 - مَيْل الزوج إلى زوجته أو إلى أبَوَيه:

روى نافع أن ابن عمر جاء إلى النبي ﷺ، فقال: إن أبي أمرني أن أُطَلِّق امرأتي، فقال: طَلِّقْها يا عبد الله.

ورُوي أنّ رجلًا أتى أبا الدرداء، فقال: أمي أَمَرتْني أنْ أُطَلِّق امرأتي. فقال: سأُحَدِّثك بشيء سَمِعته من رسول

(1) العيّ: غير فصيحة، عاجزة. عورة: كلّ ما يُسْتَحْيا منه، وكلّ ما يستره الإنسان حياءً.

الله ﷺ: الوالدة وَسَط بابِ الجنة، فاحفَظْ ذلك الباب إنْ شئت، أو ضَيِّعْه. قال: بل أَحْفَظُه، فطَلَّقَها.

تزوَّج ابن الفرزدق، فمال إلى امرأته، وتحامل على أبيه، فقال فيه.

ولَـمّـا رآنـي قَـدْ كَـبِـرْتُ وأنَّـه
أخو الجنِّ واسْتَغْنى عن المَسْحِ شاربُه
أصاخَ لـغُـريـانِ الـنَّـجِـيِّ وإنَّـه
لأَزْوَرُ[1] عن بعضِ المقالةِ جانبُه

وكان رَجلٌ قَدْ طُعِن، فمكَثَ زمانا عليلًا، فسَمع امرأته تقول لأخرى، وقد سألتها عنه: أصْبَحَ؟ فقالت: لا حَيٌّ فيُرَجى، ولا مَيت فينسى. ورأى تحرّق أمه عليه فقال:

أرى أمَّ صَخْرٍ ما تَملُّ عيادتي
ومَلَّتْ سليمى مَضْجَعي ومكاني
وما كُنْتُ أخشى أنْ أكونَ جَنازةً
عَلَيْكِ ومَنْ يَغْتَرُّ بالحَدَثانِ[2]؟
أهُمُّ بأَمْرِ الجزمِ لو اسْتَطيعُه
وقد حِيلَ بين العَيْرِ والنَّزَوانِ[3]

(1) ازوَرَّ: مالَ وانحرَف.
(2) الحَدَثان: الليل والنهار. وحَدَثان الدهر: مصائبه.
(3) العَيْرِ: الحمار. النزوان: السِّفاد (النكاح). وقوله: «قد حيل بين العير والنزوان» مَثل يُضرب للرجل يعوقه عن مطلبه عائق.

فَأَيُّ امرئٍ ساوى بأمٍّ حليلةً
فلا عاشَ إلا في أذىً وهَوانِ[1]
لعَمْري لقَدْ نَبَّهْتُ من كان نائمًا
وأيقَظْتُ مَن كانَتْ له أذُنانِ

ثم بَرَأ من عِلَّته، فطَلَّقها.

قال شاعر:

إذا سَوَّيْتُ صاحبتي بأمي
فقامَ عليَّ قَبْلَ الصبحِ ناعي[2]
فأُمُّ المرْءِ باكيةٌ عليهِ
وخلَّتُه تَصَدَّى بالقِناعِ[3]

15 – المؤتمِر لامرأته، والممتنع من ذلك:

كان الأحنف مُطيعًا لجاريته زبراء، فقيل له في ذلك، فقال: كيف لا أطيعُ من لي إليه في كلّ يوم حاجة؟

قال شاعر:

أقامَتْ زوجَها مَرَّة وقامَتْ موضِعَ الرجلِ

قال أبو تمام:

امرأته نفذَتْ أمرَها حتى ظَنَنّا أنّه امرأتها

(1) الهوان: الذلّ.
(2) أي: مُتّ.
(3) خلّته: زوجته.

قال الشنفرى:

إذا ما جئتِ ما أنهاكِ عنه
ولم أنكُرْ عليكِ فطَلّقيني
فأنتِ البَعْلُ يومئذ فقومي
بسَوْطِك، لا أبا لكِ، فاضْربيني

فِتْنَتُهُنّ:

قال ﷺ: ما تركتُ بعدي فتنة أضرَّ على الرجال من النساء. وقال: أوثَقَ سلاح إبليس النساء. وقال: النِّساء حبائل الشيطان.

ونظر بقراط إلى رجل يكَلِّم امرأة، فقال له: تَنَحَّ عن هذا الفخ، لا تَقَعْ فيه.

وقال لقمان: كنْ منْ خيار النساء على حَذر، فأنْتَ من شرارهن على يقين.

وقال رجل: ما دَخَل داري شَرٌّ قط. فقال له حكيم: ومن اينَ دخلَت امرأتك؟

16 – وَصْفهن بغلبة الرجال:

قال النبي ﷺ: ما من ناقصة العقل والدين أغلب للرجال ذوي الأمر من النساء.

وقال معاوية في وصفهن: يغلبنَ الكرامَ ويغلبهنَّ اللئامُ.

قال شاعر:

وَيَجْمَعْنَ ضعْفًا واقْتِدارًا على الفتى
أَلَيْسَ عجيبًا ضُعْفُها واقتدارُها؟

قال الرشيد:

ما لي تُطاوِعُني البَرِيَّةُ كُلُّها وأُطيعهنَّ وَهُنَّ في عِصْياني؟
ما ذاكَ إِلا أنَّ سلطانَ الهوى وبهِ غَلَبْنَ أَعَزُّ مِنْ سلطاني

وقال الموسوي:

مُعاداةُ الرِّجالِ على اللَّيالي أُطيقُ ولا معاداةَ النِّساءِ

17 – التحذير من الاعتماد عليهنّ وذمهنّ:

قال أمير المؤمنين: لا تطيعوا النساء على حال، ولا تأمنوهنّ على مال، ولا تذروهنَّ يدبّرْن العيال، فإنهن إن تُرِكْنَ وما يُرِدْن، أوردن المهالك وأزلن الممالك، لا دينَ لهنَّ عند لذاتهنّ، ولا وَرَع لهنّ عند شهواتهنّ، يَنْسين الخير ويحفظن الشرّ، يتهافَتْن في البُهْتان[1]، ويَتَمادين في الطغيان، ويتَصَدَّين للشيطان.

وقيل: من أطاع عِرْسَه[2]، لم ينفع نفسه.

وعارضت امرأة عمر في أمر يُدَبِّره، فقال: ما لكنَّ وأمورَ الرجال إنما أنتنَّ لعبة، إنْ كانت لنا بكنَّ حاجة، دَعَوْناكنّ.

---

(1) البُهْتان: الباطل.
(2) العِرْس: الزوجة.

قال المتنبي:

وللخَودِ[1] منّي حاجةٌ ثم بَيْننا
فلاةٌ إلى غَيْرِ اللّقاء تُجابُ

18 – الحثّ على مخالفتهنّ:

قال النبي ﷺ: شاوروهُنَّ وخالفوهن. وقيل: إياكَ ومشاورة النساء، فإنَّ رأيَهنَّ إلى أَفَن[2]، وعَزْمُهُنّ إلى وَهَن[3]. وقيل: أكثروا لهن مِنْ «لا»، فإنَّ «نَعَمْ» تغريهنّ بالمسألة.

قال أجدع الهمداني:

تُعَيِّرني بالغَزْو عِرْسي وما دَرَتْ
بأنّي لها في كُلِّ ما أَمَرَتْ ضِدُّ

19 – ذمّهنَ بالجهل والاعوجاج:

قيل: إذا وصفت المرأة بالعقل فهي غير بعيدة من الجهل، وقيل: لا تدعِ المرأة تضرب صبيًا، فإنَّه أعقل منها.

وفي الحديث: خُلِقَت المرأةُ من ضِلع معوج، فإذا أردت تَقْويمه انصدع. وقال ﷺ: النساء شَرّ كلهنّ، وشَرّ ما فيهنّ قلّة الاستغناء عنهن.

---

(1) الخود: المرأة الشابة الجميلة.
(2) الأَفَن: ضُعْف الرأي.
(3) الوهَن: الضعف.

وقيل: تَعَوَّذ من شِرار النساء، وكُنْ من خيارهنّ على حذر.

ورأى سقراط امرأة تحمل نارًا، فقال: نارٌ تحملُ نارًا، والحامِل شَرٌّ من المحمول. وقيل له: أيُّ السِّباع شر؟ قال: المرأة!

ورُوي عن النبيﷺ: النِّساء حبائل الشيطان. وقيل: شَرّ أخلاق الرجال الجبن والبخْل، وهما خير أخلاق النساء.

وقيل: المرأة إذا أبْغَضَتك آذتك، وإذا أحَبَّتْك خانتك، فَحُبُّها أذى وبغضها داء.

قال شاعر:

إِنَّ النساءَ وإنْ حُسِبْنَ صَوالحًا
فيما يَحُلُّ من الأمورِ ويَحْرُمُ
لحمٌ تَطيفُ به كِلابٌ جُوَّعٌ
إن لمْ يُذَدْنَ[1] فإنَّهُ مُتَقَسَّمُ

20 – النَّهْي عن حَمْد النساء:

قال لقمان: شيئان لا يُحْمَدان إلا عند عاقبتهما: الطعام والمرأة، فالطعام لا يُحمد حتى يُستَمْرأ، والمرأة لا تُحْمَد حتى تموت. وفي المثل: لا تُحْمَد أَمَة عامَ شِرائها، ولا حُرَّة عام بِنائها[2].

---

(1) يُذَدْنَ: يُحافظ عليهنّ.

(2) بنى بامرأته: دخَلَ بها، جامَعَها.

الفصل الخامس

في وصف النساء

1 - وصفهن بكونهن ناقصات:

قال النبي ﷺ: إنّهنّ ناقصات دين وعقل، فقيل: وما نقصان دينهن وعقلهن؟ قال: إنَّ إحداهن تقعد نصف شهر لا تُصَلي، وأما نقصان عقولهنّ، فشهادة لمرأتين تقوم مقام شهادة الرجل الواحد.

وقال وهب بن منبّه: قد عاقبَ اللهُ النساءَ بعشر خصال: بشدّة النّفاس[1] والحيْض، وجَعْل ميراث اثنتين ميراث رجل، وشهادتها بشهادة رجل واحد، وجعلها ناقصة الدين والعقل لا تصلّي أيام حيضها ولا يُسَلَّم عليها، وليس عليها جمعة ولا جماعة، ولا يكون منهنّ نبي، ولا يسافرن إلّا بوَليّ.

2 - وَصْف الموافية للزوج الحسنة الخلق:

قال ﷺ: خَيرُ النساء الهينة العفيفة المسْلمة، تُعينُ أهلها على العيش، ولا تعين العيش على أهلها.

---

(1) النّفاس: ولادة المرأة.

وقال معاوية، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، لصعصعة: أيّ النساء أشهى؟ قال: المواتية لما تهوى، المجانبة لما لا ترضى.

وتزوَّجَ رجل سَيِّئ الخلق امرأة، فقال: أما إني سَيِّئ الخلق، فإنْ كان عندك شيء من الصبر على المكروه، وإلا فلستُ أغرك من نفسي. فقالت: أسوأ خُلقًا منك من أحْوَجك إلى سوء الخلق. فتزوَّجها، فما جرى بينهما وحشة للموت.

وقال شريح: تزوجت امرأة صغيرة، فلما بنيتُ بها[1]، قالت: عَرِّفْني خلقك لأعملَ على مداراتك. فعَرَّفْتُها، فبقيتُ معها سنة لا أزدادُ فيها إلّا شَغَفًا، فدخلتُ يومًا فرأيت عندها عجوزًا فقلت: من هذه؟ قالت: أمي! فسلَّمت عليها، فدعت لي، وقالت: كيف رضاك على صاحِبتك؟ فشكرتها، فقالت: اسوأ ما تكون المرأة خُلُقًا إذا حظيتْ عند الزوج، وإذا ولدت، فإن رابَكَ منها شيء، فعليك بالسوط... فقلت: أشْهَد إنها ابنتك، فقد كَفَيتني الرياضة.

3 – وصف المخالفة السيئة الخلق:

قال الأصمعي: رأيت رجلًا يطوف بالبيت يحمل شيخًا كبيرًا يقول له: أَعْيَيْتَني صغيرًا وكبيرًا. فقلت له: أحْسنْ إليه، فطالما أحْسَنَ إليك؛ فقال: مَنْ تراه لي! فقلت: هو

(1) أي: دخلتُ بها، جامَعْتُها.

أبوكَ أو جَدّك، فقال: بل هو ابني. فقلت: ما صَيَّرَه إلى ما أراه. قال: سوء خلق امرأته!

وقال رجل لأبيه: تزوَّجْت امرأة سيئة الخلق، فقال: عَجِّلْ طلاقَها، فإنَّها تهرمك قبل الهَرَم، وتذهب عنك بجماع الكرم.

ورُوي أنَّ حكيمًا زَوّجَ ثلاثة بنين، فلما كان رأس الحول[1]، سأل الأوّل عن امرأته، فقال: هي امرأة من خير النساء إلا أنها خَرْقاء[2] لا تعمل شيئًا، فقال: أنزِلها في بني فلان فإنَّ نساءهم صَناع[3]، لتَتَعَلَّم. وسأل الثاني فقال: إنّها لا تَدْفع يَدَ لامس؛ فقال: أنْزِلها في بني فلان، فإنَّ نساءهم عفيفات! وسأل الثالث فقال: سَيئة الخلق. فقال: طلِّقْها، فهذا شيء لا حيلة له.

4 – شُكْر أحد الزوجين الآخر:

قيل لامرأة: كيفَ زَوْجك؟ قالت: إذا دخَلَ فَهْد، وإذا خرج أسد. وقيل للأخرى، فقالت: جمل ظعينة ولَيْث عرينة[4]. وقيل للأخرى، فقالت: هو سكوت خارجًا، ضحوكٌ والجًا[5].

---

(1) الحول: السنة.
(2) الخرقاء: الحمْقاء.
(3) الصَّناع: المرأة الماهرة في الصِّناعة.
(4) الظعينة: المرأة في الهودج. وليث عرينة: أَسَد شديد.
(5) والجًا: داخلًا.

وسئل رجل عن امرأة، فقال: أفنان أثلة[1]، وجنى نحلة، ومَسّ رملة، وكأني قادم في كل ساعة من غيبة.

وطلَّق رجل امرأة، فلما أرادت الارتحال، قال لها: اسمعي وليسمَعْ مَنْ حَضَر، إنّي والله اعتَمَدْتُك رغبة، وعاشرتك محبة، ولم يوجد مكاني منك زلّة، ولم يدخلني منك ملّة، ولكن القضاء كان غالبًا. فقالت المرأة: جُزيتَ مِنْ صحوب خيرًا، فما استربْتُ خَبَرك، ولا شكوتُ خيرك، ولا تمنيت غيرك، وليس لقضاء الله مدفع، ولا من حُكمه ممنع. ثم تَفَرَّقا.

5 – ذمّ أحد الزوجين الآخر:

شكت امرأة زوجها، فقالت: هو قليل الغيرة سريع الطّيرة[2]، كثير العتاب شديد الحساب، استرخى ذَكَره، وأقبَلَ زَفَره وبَخَره[3]، وطمحت عيناه، واضطربت رجلاه، يأكل همسًا، ويمشي خلسًا، ويصبح رجْسًا، إن جاع جزع، وإنْ شبعَ خَشع.

وقالت امرأة: زوجي قصير الشبْر، ضَيّق الصدر، لئيم النجْر[4]، عظيم الكبر، كثير الفخر.

(1) الأثلة: شجرة صلبة الخشب جيّدة.
(2) الطيرة: التشاؤم.
(3) البَخَر: رائحة الفم الكريهة.
(4) النَّجر: الأَصْل والحَسَب.

وقالت امرأة لرجل: إنك لضيق الفناء، صغير الإناء، قبيح الثناء! فقال: وأنتِ واهية العقد، قليلة الرِفْد[1]، مجانبة للرشد. وقال امرؤ القيس لامرأته وقد فَرَكَتْه[2]: ما تكرهين مني؟ قالت: إنك سريع الإراقة[3]، بطيء الإفاقة[4]، ثقيل الصدر خفيف العجز! فقال: وأنتِ حديدة الركبة، واسعة الثقبة، سريعة الوثبة، قبيحة النقبة.

6 - شؤم أحد الزوجين على الآخر:

تزوج امرأة رجل قد مات عنها خمسة أزواج فمرض السادس، فقالت: إلى من تكلني؟ قال: إلى السابع الشقيّ!

وتزوَّج أعرابي أربعة نسوة مُتْنَ عنده، ثم تزوج امرأة مات عنها خمسة أزواج، فقال:

بوازِلِ أَعْوامٍ أذاعَتْ بخَمْسةٍ
وتَعْتَدُّني ان لم يقِ الله شائيا[5]!
ومِن قَبْلِها أهلكْتُ بالشُّؤمِ أربعًا
وواحِدةً أَعْتَدُّها في حسابيا

---

(1) الرفد: العطاء.
(2) فركته: كرهت عشرته.
(3) الإراقة: إنزال المنيّ.
(4) الإفاقة: العودة إلى النكاح.
(5) البوازل: جمع بازل، وهي من الإبل التي طلعت نابُها. الشاء: جمع شاة، وهي الواحدة من الغنم للذكَر والأنثى.

كِـلانـا مُـظِـلٌّ مُـشْـرِفٌ لِـغَـنـيـمـةٍ
ويَـقْـضـي إلـهُ الـخـلـقِ مـا كـان قـاضـيـا

وقيل: رأت عائشة بنت الفرات ثلاثة ألْوية كُسرت على صدرها، فسألت أمُّها ابنَ سيرين، فقال: يتزوَّجها ثلاثة من الأشراف يُقتلون عنها، فتزوجها يزيد بن المهلب، ثم عمرو بن يزيد الأسدي فقتلا، وتزوجها الحسن بن عثمان الزهري فجرى بينهما يومًا كلام، فقالت: والله لتقتلنَّ! وأخبرته، فطلَّقها وتزوَّجها العباس بن محمد بن عمرو بن العاص ففارقها، ثم محمد بن خليفة فقتل. ثم محمد بن أبي بكر فقتل، ثم محمد بن جعفر بن أبي طالب فمات، ثم محمد بن أياس فتوفيت معه. وكان ابن عمر يقول: من أراد الشهادة الحاضرة فليتزوج بها.

7 – امتناع أحد الزوجين من التزويج بعد موت صاحبه:

يقال: ما وفت امرأة لزوجها إلا قُضاعيتان: نائلة بنت الفرافصة امرأة عثمان، فإنّها قلعت ثَنِيَّتها[1] بعد عثمان مخافة أن يخطبها رجل، وامرأة هدبة العذري، فإنّها لما رأت زوجها يُقاد للقتل، أنشدها:

فـلا تَـنْـكَـحـي إنْ فَـرَّقَ الـدَّهْـرُ بـيـنـنـا
أَغَـمَّ الـقـفـا والـوَجْـهُ لـيـسَ بِـأنْـزعـا

(1) الثَّنِيّة: إحدى الأسنان الأربع التي في مقدَّم الفم.

فعمدت إلى سكين فقطعت أنفَها، وقالت: كُنْ آمنًا من ذلك! فقال: الآن طاب ورود الموت!

وتزوج رجل بابنة عم له يقال لها رباب، وتعاهدا على أن لا يتزوج أحدهما بعد موت الآخر، فمات الرجل. وأُكرهت المرأة على التزويج، فلما كان ليلة الزفاف رأت في منامها أنّ عمها آخذ بعضادتي[1] الباب، فأنشد:

حيَّيْتُ سكانَ هذا البيتِ كُلَّهم
إلا الربابَ فإنّي لا أُحَيِّيها
أمْسَتْ عروسًا وأمسى مَنْزلي خَرِبًا
ولم تراعِ حُقوقًا كُنْتُ راعيها

فانتبهت مذعورة، وحلفت أن لا تجمع رأسها ورأس الرجل وسادة.

وكان شيرويه لما قتل أباه كسرى، أراد أن يتزوج بشيرين امرأة أبيه، فقالت له: على ثلاث شرائط: أن تحضرَ الحكماء فأخَطِّئهم في معاونتهم إياكَ على قتل أبيك حتى لا يجرؤوا على مِثْله فيك، وأنْ تستحضرَ لي نساءَ الكبار لأَشْتفي بالبكاء عليه، وأنْ تأذن لي في حضور المكان الذي مات فيه مَرَّة. فقال: كُلٌّ ذلك لك! فلما خَطَّأتْهم وبكت عليه، وحضرت المكان الذي مات فيه، أخْرَجَت فَصًّا[2]

---

(1) عضادتا الباب: خشبتاه من جانبه.
(2) الفَصّ: ما يُركّب في الخاتم من أحجار كريمة.

مَسْمومًا، فمَصَّتْه فماتت مكانها، وكانت قد عمدت إلى سَمّ فوضعته في بعض الخزائن، وكتبت عليه: إنَّ من تناولَ منه وزن دانِق[1]، أعانه على الجِماع، فلما ظفر به، تناول منه، فمات في مكانه.

8 - المتزوِّج منهما بعد موت الآخر:

ماتت امرأة لرجل، وكان عاهدها أن لا يتزوج بعدها، فخطب امرأةً في جنازتها، فعوتب في ذلك، فقال:

خَطَبْتُ كما لو كنتُ قد مُتُّ قبلَها
لكانَتْ بلا شَكٍّ لأوّلِ خاطبِ
إذا غابَ بَعْلٌ جاءَ بَعْلٌ مكانه
ولا بُدَّ مِنْ آتٍ وآخرَ ذاهِبِ

ومات زوج امرأة، فراسلها في ذلك اليوم رَجُل يخطبها، فقالت: هلّا سَبَقْتَ، فإني قد قاولتُ غيرك، فقال: إذا مات الثاني، فلا تفوتني.

(1) الدانق: سُدْس الدرهم.

الفصل السادس

في الطلاق

1 - ذمّ التطليق وشدته:

قال ﷺ: ما مِنْ حلال أبْغَض إلى الله من الطلاق. وقال ﷺ: ما خَلَق الله شيئًا أحَبَّ إليه من العِتاق[1]، وما خلق الله شيئًا أبغض إليه من الطلاق. وروي عنه أيضًا: لا تُطلقوا النّساء إلا من ريبة، فإن الله لا يحبّ الذوّاقات.

وقال عمر لرجل طلّق امرأته: لِمَ طَلَّقْتَها؟ قال: لا أحِبُّها. فقال: أكُلُّ البيوتِ بُنيتْ على الحُبّ؟ أينَ الرِّعاية والذّمم؟ وقال الشاعر:

وما لذَعتْ أنْثى من الدَّهْرِ لذعةً
أشَدَّ عليها من طَلاقٍ تُزَوَّد

2 - مَدْح التطليق:

كان الحسن رضي الله عنه مِطلاقًا، وقال: إنَّ الله علّقَ بهما الغنى. وقال عامر بن الظرب: أجملُ القبيح الطلاق.

---

(1) العِتاق: جمع عتيقة، وهي من النساء: الجميلة.

وأملى أبو العجل خطبةً للنكاح، فقال: الحمد لله الذي جعل في الطلاق اجتلاب الأرزاق، فقال: ﴿وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦ﴾ [النساء: 130]. أوصيكم عباد الله بالسلوة والملالة والتجنّي والجهالة، واحفظوا قول الشاعر:

إذْهبي قد قَضَيْتُ مِنْكِ قضائي
وإذا شِئْتِ أَنْ تَبيني فَبيني(1)

تعاهدوا نساءكم بالسّبّ، وعادوهنّ بالضرب، وكونوا كما قال الله تعالى: ﴿وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ﴾ [النساء: 34]، ثم إن فلانًا في خمول نسبه ونقص أدبه خَطَب إليكم فازهدوا فيه، فرّقَ الله ذاتَ بينهما، وقرّبَهما من حينهما(2).

3 - الحثّ على تطليق غير الموافقة:

قال شاعر:

ودواءُ ما لا تَشْتَهِيـ ـهِ النفسُ تَعجِيلُ الفراقْ

وأنشد دعبل يزيدَ بن مرثد قوله:

عُكْلِيَّةٌ جَهْمٌ مُحَيّاها

فقال: طلِّقها، قال: ليس لي مال، فدفع إليه مالًا. فقال: طلقتها ألف مرة.

(1) بيني: فارقي.
(2) الحين: الموت.

4 - المتبرِّم بالمرأة المتمنّي طلاقها:

قال أبو سراعة:

أيُّ طيرٍ جرى بقربكِ حتى يسَّرَ اللهُ للرماةِ جناحَه

وقال:

أحْرَزَتْ كَفّاي منها حُرَّةً غيرَ سرِّيَّهْ
سِنُّها سِنُّ عَجوز وهْيَ في العَقْلِ صَبيَّهْ
حَبَّذا التَّطْليقُ لولا خَلَّةٌ فيه رَدِيَّهْ

وقال:

لقد كنتُ محتاجًا إلى موتِ زوجتي
ولكنَّ عِلْقَ السُّوء باقٍ مُعَمَّرُ
فيا ليتَ أنَّ اللحدَ قد صارَ بيتها
وعذَّبها فيه نَكيرٌ ومنكِرُ[1]

ومرضت امرأة لبعض الأعراب، فسمعها تقول:

إذا مُتُّ فالجَرْعاءُ مِنْكِ قريبةٌ
وفي بَيْتِنا للغانياتِ مَعادُ

وقال جران العود يخاطب امرأة:

يقولون: في البيتِ لي نَعْجَةٌ
وفي البيتِ لو يَعْلَمونَ النَّمِرْ!

---

(1) منكر ونكير: ملاكا القبور.

أَحِبّي لِيَ الخيرَ أو أبْغضي
كِلانا لصاحِبِه يَنْتَظِرْ

5 – من طلَّق امرأته فَسُرَّ بذلك:

قال شاعر:

رحلَتْ أُمَيَّةُ بالطَّلاقْ وَعُتِقْتُ مِنْ رِقِّ الوثاقْ[1]
بانَتْ فلَمْ يألم لها قلبي ولم تَبْكِ المآقْ[2]
لو لَمْ أُرَحْ بفراقِها لأَرَحْتُ نفسي بالإباقْ[3]
وخَصَيْتُ نفسي لا أُريدُ حَليلةً حتى التلاقْ

وكان قتادة بن معروف تزوَّج امرأة، ففركها[4] من ليلة، فطلَّقها، ولما أصبح، قال:

تَجَهَّزي لِلطَّلاقِ واصْبري
هذا دَواء الجوامِحِ الشُّمُسِ[5]
لَلَيْلَةُ البَيْنِ إذ هَمَمْتُ بِهِ
أَطْيَبُ عِنْدي من ليلةِ العُرسِ[6]

(1) عتقتُ: تحرّرت من العبودية. الرقّ: العبودية. الوثاق: القيد.
(2) بانت: فارقت. المآقي: مجاري الدموع.
(3) الإباق: هربُ العبدِ من سَيِّده.
(4) فركها: بغضها.
(5) الجوامِح: جمع الجامحة، وهي غير المطواعة، الحرون الشاردة. الشُّمس: النافرة الشاردة على هواها.
(6) البَيْنِ: الفراق.

وتزوج رجل امرأة، فلما دخل بها، وجَدها قبيحة سيئة الخلق، فقال:

إمْضي إلى سَقَرٍ فإنَّكِ بائنٌ
ومُطَلَّقٌ وخَلِيَّةٌ وحَرامُ[1]
والقولُ قولُ أبي حنيفةَ عندنا
إذ ليسَ فيها رَجْعَةٌ ولِمامُ

وكان رجل طلق زوجته ثلاثًا، وترافعا إلى القاضي، فأخذ القاضي ينظر: هل لقوله وَجْه، فقال له: لا تتعبْ، هي طالقة عشرين ألف مرة. فقال القاضي: قد خفَّفْتَ الأمَر علينا.

6 – مَنْ أُمِرَ بمصابرة امرأته:

قالت أم التحف وكان ابنها تزوج امرأة على غير رضاها وحمَّلَ نفسه ما لا طاقة له به. ثم هم بتطليقها تَبَرُّمًا بها[2]:

لَعَمْري لقَد أخلفْتَ ظنًّا وسُؤْتَني
فَحُزْتَ بعِصْياني النَّدامةَ فاصْبِرِ
ولا تكُ مِطْلاقًا مَلولًا وسامِحِ الْـ
قَرِينَةَ وافْعَلْ فعل حُرٍّ مسهرِ

(1) سَقَر: جهنَّم. بائن: مُطلَّقة. خليَّة: لا زوج لك. حَرامُ: أي حرامٌ عليّ.
(2) أي: ملَلًا منها، وتأفُّفًا.

فَقَد حُزْتَ بالوَرْهاء أخبثَ خشيةٍ
فدع عنكَ ما قد قلت يا سَعْدُ واصبرِ[1]
تَرَبَّصْ بها الأيام عَلَّ صُروفَها
سترمي بها في جاحمٍ مُتَسَعِّرِ[2]

7 - مَنْ طلَّقَ امرأته فندم:

جاء اعرابي إلى ابن أبي ذؤيب في مسألة طلاق زوجته، فأفتاه بطلاقها، فقال:

أَتَيْتُ ابنَ ذئبٍ أبْتَغي الفِقْهَ عندَه
فَطلَّقَ حِبّي لَيْتَ بُتَّتْ أنامِلُهُ
أُطَلِّقُ في فَتْوى ابنِ ذئبٍ حليلتي
وعِنْدَ ابنِ ذئبٍ أهْلُهُ وحَلائلُهُ

وقال راوية الفرزدق: قال لي الفرزدق: امضِ بي إلى حلقة الحسن، فإني أريدُ أن أُطلق نوار[3]. فقلت له: اخشى أن تتبعها نفسك. فقال: امضِ ولا تخف. فمضيت معه، فقال: السلامُ عليكم، اعلمْ أنّي قد طلَّقْتُ نوار ثلاثًا، فقال الحسن: قد علمت. فلما رجع، قال: إني لأجد في نفسي شيئًا من نوار، ثم أنشد يقول:

(1) الورهاء: الحمقاء الغبيّة.
(2) صروف الأيام: تقلّباتها ومصائبها. الجاحم المتَسَعِّر: الجحيم الشّديد النيران.
(3) نُوار: زوجة الفرزدق.

نَدِمْتُ ندامَةَ الكُسعَيِّ لمّا
غَدَتْ منّي مُطَلَّقَةً نَوارُ[1]

وكانَتْ جَنَّتي فخرجْتُ منها
كآدمَ حينَ أخرجَه الضِّرارُ[2]

ولو أني ملكتُ يدي ونَفْسي
لكان عليَّ للقدرِ الخِيارُ

8 - قرب تطليق امرأة من تزوجها:

زوَّجَ بعضُهم ابنته عمرو بن عثمان، فلما مضت إليه، طلَّقها على المنصة؛ فجاء أبوها إلى عبد الله بن الزبير، فقال: إنَّ عمرو بن عثمان طلق ابنتي في المنصَّة، وأخشى أن يظن الناس أنَّ ذلك لعاهة، وأنت عَمُّه، فعاتبه. فقال: أو خَيْر من ذلك، ائتوني بالمصعب، فزوَّجها منه، وأقسم ليدخلن بها من ليلته، فما رُؤيت امرأة نُصَّتْ على رجلين في ليلة سواها.

وتزوج الوليد في خلافته نيّفًا وسبعين امرأة، فلما دخل بالآخرة، وأراد أن يقوم، أخذت بثوبه، وقالت: ما ترى أقِمْ كفيلًا أنْ لا تأمر بتسريحي! فضَحِك واسْتَمْلحها وأمسكها أربعة أشْهر، ثم طلَّقها بعد ذلك.

(1) الكُسَعيّ: رجل يُضرب به المثل في النَّدَم.
(2) الضّرار: المخالفة.

9 – مراجعة المرأة بعد طلاقها:

قال الله تعالى: ﴿فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ﴾ [البقرة: 232]، وسبب ذلك أن أحدهم كان إذا أراد أذية امرأة طلَّقها، فإذا قاربت انقضاء العدة راجعها، ثم طلَّقها، ثم راجعها طلبًا لأذِيَّتها.

وقيل: إن الحسن بن علي طلق امرأتين قرشية وجعفية، فأرسلَ إلى كل واحدة عشرين ألفًا، وقال للرسول: احفظْ ما تقول كلٌّ واحدة، فقالت القرشية: جزاهُ الله خيرًا. وقالت الجعفية: مَتاع قليل من حبيب مفارق. فراجع الجعفية.

وتزوج عبد الله بن أبي بكر عاتكة بنت زيد بن عمرو، أَلِفها حتى اشتغل بها عن كل شيء، فقال له ابوه: طَلِّقها فطلَّقها، وقال:

فلَمْ أرَ مِثْلي طلَّقَ اليَوْمَ مِثْلَها
ولا مثلها في غيرِ شَيْءٍ يُطَلَّقُ

فقال أبوه: راجِعْها يا بُنيّ، فإني أراكَ مُحِبًّا لها.

10 – تفويض الطلاق إليها:

رُوي عن عائشة ﷺ لما أنزل الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ﴾ [الأحزاب: 28] دخل النبي ﷺ، وقال: إنّي ذاكرٌ لكِ أمرًا، فلا

عليكِ أنْ لا تعجلي بشيء حتى تستشيري أبويك. قالت: وخشي النبي ﷺ حداثة سِنّي. فقلتُ: يا رسول الله وما ذاكَ، قال: إنّي أُمرتُ أنْ أُخَيِّركُنَّ، ثم تلا الآية علينا. فقلتُ: فيمَ أستشيرُ أبوَيَّ؟ بل اختار الله ورسوله والدار الآخرة. فَسَرَّ ﷺ بذلك نساءه فتواتَرْن عليه.

كانت امرأة عند الحسن بن الحسين بن علي، فضجرت عليه يومًا، فقال: أَمْرِكِ في يدكِ! فقالت: أما والله لقد كان في يدك عشرين سنة فحفظتَه وما ضَيَّعْتَه، أَفَأُضَيِّعه في ساعة واحدة صار في يدي، قد رَدَدْتُ عليكَ حَقَّك، فأعْجَبه قولها.

11 – طلاق السُّنَّة:

قال الله تعالى: ﴿فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾ [الطلاق: 1]. وقيل: طلاق السُّنّة أن يُطَلِّقها وهي طاهر، ثم يدعها حتى تنقضي عدتها، أو يراجعها حتى تطهر ثم تطهر، ثم إن شاء طَلَّقها قبل أن يراجعها، وإن شاء أمْسَكها، فإنها العدة التي أمر الله بها.

12 – الطلاق الثلاث:

قال ابن العباس: كان الطلاق في عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر وسنتين من خلافة عمر طلاق الثلاث واحدة، فقال عمر: إنَّ الناس قد استَعْجلوا في أمر كانت لهم فيه أناة، فلو أمْضيناه عليهم، فأمضاه عليهم.

وروى عكرمة عن ابن عباس قال: طَلَّق ركانة امرأته ثلاثًا في مجلس واحد، فحزن عليها حزنًا شديدًا، فسأله النبي ﷺ: كيفَ طَلّقتَها؟ فقال: طلّقْتُها ثلاثًا، فقال: في مجلس واحد؟ فقال: نعم. قال: فإنّما تلك واحدة، فإنْ شئتَ، فراجِعْها.

وقال ابن عباس: إنّما الطلاقُ عند كل طُهْر[1]، فتلك السُّنّة التي عليها الناس والتي أمر الله بها.

13 – أحوال الطلاق:

قال رسول الله ﷺ: ثلاثٌ ليس فيهن لَعِب، مَنْ تكلَّمَ بشيء منهنَّ لاعبًا، فقد وجب عليه: الطلاق، والعتاق[2]، والنّكاح. وأما طلاق المُكْرَه فغير واقع، لقوله ﷺ: رفع عن أمّتي الخطأ والنّسيان وما استكرهوا عليه. وقال ﷺ: لا طلاقَ في إغلاق، وقال: لا طلاق لامرئ في ما لا يملك ولا عتاق فيما لا يملك. ورُوي: من طَلَّقَ ما لا يملك فلا طلاق له.

14 – مَنْع الزوج منها بعد الثلاث:

حتى تَنْكح زوجًا غيره. قال الله تعالى: ﴿فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوۡجًا غَيۡرَهُۥۗ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن

(1) الطُّهر: الخُلُوّ من النجاسة (الحَيْض).
(2) العتاق: الإخراج من العبوديّة.

يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۗ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٢٣٠﴾﴾ [البقرة: 230] ورُوي أن رفاعة القرظي طلّق امرأته، فَبُتَّ طلاقها، فتزَوَّجها بعد رفاعة عبدُ الرحمن بن الزبير، فجاءت إلى النبي ﷺ، فقالت: يا رسول الله، إني كنت عند رفاعة، فطلّقني وأنّه ليس معه إلا مثل هذْبة الثوب، فتبسّم النبي ﷺ، وقال: لعلك تريدين أن ترجعي إلى رفاعة، لا، حتى تذوقي عَسيلته ويذوقَ عَسيلتَكِ، وأبو بكر جالس عند النبي ﷺ، وخالد بن سعيد بن العاص جالس على باب الحجرة لم يؤذن له، فطفق خالد يتأذى ويقول: ألا تُزْجَرُ[1] هذه عما تجاهر به الرسول ﷺ؟ وروي أنها جاءت بعد، فأخبرته أنْ قد مسّها، فقال: اللهمَّ إنْ كان ما بها إلا أن تحلها لرفاعة، فلا تتم لها نكاحه مرة أخرى، فلم يتفق تزوَّجه بها. وسئل ﷺ عن المحلّل فقال: لا، الإنكاح رغبة، ولا مستهزأ بكتاب الله، لعن الله المحلِّل والمحلَّل له! وفي حديث آخر: المستحلّ والمستحلّ له.

15 – مراجعة المرأة:

روي عن أنس قال: طلَّقَ رسول الله ﷺ حفصة، فرجعت إلى أهلها، فأنزل الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ

(1) تزجر: تمنع.

﴿فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾ [الطلاق: 1] وقيل له: راجعها، فإنَّها صوّامة قوّامة[1]، وإنها إحدى نسائك، وأزواجك في الجنة.

16 – ذمّ المريدة لطلاق زوجها والمختلعة:

قال النبي ﷺ: أيّما امرأة سألت زوجها الطلاق من غير بأس حرم الله عليها رائحة الجنة. رُوي أنَّ حبيبة كانت تحت ثابت بن قيس فكرهته، فجاءت إلى النبي، ﷺ، فقالت: لا أنا، ولا ثابت، ولولا مخافَة الله، لبصَقْت في وجهه، فقال: أتردين عليه الحديقة التي أَصْدَقَكِ[2]؟ قالت نعم، فجمع بينهما، فردَّت عليه الحديقة وفرَّق بينهما، فكان أوّل خَلْع وَقَعَ في الإسلام.

17 – العِدّة:

كانت المرأة، إذا مات زوجها، تَعْمَد إلى أخشن ثيابها، فتلبسه وتقعد في البيت سنة، فإذا كان رأس الحول، خرجت ورمَتْ ببعرة على حمار، وقالت: قد حللت الآن. ثم أنزل الله: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٣٤﴾﴾ [البقرة: 234].

---

(1) صوّامة: كثيرة الصّيام. قوّامة: كثيرة القيام في الليل للصّلاة.
(2) أصْدَقك: أعطاكِ إياها كصَداق (مَهر).

ورُوي أن امرأة توفي عنها زوجها، فشَكَت إلى رسول الله، ﷺ، أنها اشتكت عينها، فهل لها أن تَكْتَحِل؟ فقال: كانت إحداكنّ تمكثُ في بيتها في شرّ أحلاسها حولًا[1]، فإذا مَرّ كلب، رمته ببعرة ثم خرجت، أفلا أربعة أشهر؟ وأما عدة المطلقة فثلاثة قروء وعند الشافعي رضي الله عنه القرء الطُّهْر، وعند أبي حنيفة رضي الله عنه الحيض، وأهل اللغة يعدون هذه اللفظة من الأضداد وقوله تعالى: ﴿وَأُوْلَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ [الطلاق: 4]، في المطلقة والمتوفى عنها جميعًا.

18 – الظِّهار والإيلاء:

كان الرجل إذا قال لامرأته في الجاهلية: «أنتِ عَليّ كظهر أمي»، حُرمت عليه. وكان أوّل من ظاهرَ في الإسلام أوس بن الصامت، وكانت ابنة عم له تحته يقال لها خولة، فظاهَرَ منها، فسُقِط في يده[2]، وقال: ما أراكِ إلّا قد حَرمْتِ عليّ، فانطلقي إلى النبي، ﷺ، فَسَليه: فأتته، ﷺ، فقال: يا خولة، ما أُمِرْنا في أمرك بشيء، فأنزل الله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا﴾ [المجادلة: 1] فقال: ادعي زوجك، فدعته، فقال: هل تجدُ رَقَبةً تُعْتِقُها؟ فقال:

(1) أحلاسها: ثيابها. حولًا: سنة.
(2) أي: ندِمَ.

لا أملك رقبة غير هذه، وضرب بيده على عنقه. فقال: هل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين؟ فقال: إذا لم آكل في اليوم ثلاث مرات غُشِي عليّ، فقال: اطعمْ ستين مسكينًا. فقال: والذي بَعَثَكَ بالحق، لقد بتنا ليلتنا ما لنا طعام. فدفع إليه خمسة عشر صاعًا[1]، وقال: كُلْه أنت وعيالك.

والإيلاء هو أن يحلف أن لا يجامع امرأته أربعة أشهر، وما كان دون ذلك، بإيلاء، ومتى حلف كذلك، فقد قال الله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٢٢٦﴾ [البقرة: 226].

(1) الصاع: مكيال للحبوب مقداره أربعة أمداد تقريبًا.

الفصل السابع
في العِفّة

قال ﷺ: «مَنْ حَفِظ ما بين لحييه ورجليه دخل الجنة»، وقال: «من وقى شَرَّ لَقْلقه وقَبْقبه وذبذبه، فقد وُقي شِرّة[1] الشباب»، وسئل عن أكثر ما يدخلُ الرجلَ النار فقال: الأجوفان: الفم والفَرَج.

وقيل لبطليموس: ما أحْسَنُ أن يصبَر الإنسانُ عما يشتهي؟ فقال: أحْسَنُ منه أن لا يشتهي إلا ما ينبغي.

وقيل في قوله تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾ [الرحمن: 46]، قيل: هو الرجل يخلو بالمعصية، فيتركها خوفًا من الله رجاء ثوابه، وخوف عقابه.

وقال ابن عباس: الشيطان من الرجال والنساء في ثلاثة منازل: في النظر والقلب والفرج.

وقال ﷺ: العينان تزنيان.

وكان طاووس تمثلت إليه امرأة تراوده[2]، فواعدها يومًا

---

(1) شِرّة الشباب: طيشُه.
(2) تُراوده: تُغريه بنكاحها.

إلى رحبة المسجد، فلما حضرت، إليه، قال: انْخَضعي! قالت: ههنا؟ قال: نعمْ، إن الذي يرانا ههنا يرانا في الخلا، فاقشعرت المرأة، وانزجرت، وتابت.

1 – من تعَفّف عند مشارفة بلوغ الشهوة:

قال الله تعالى حكاية عن يوسف عليه السلام: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ﴾ [يوسف: 24]. واجتمع بعض الأعراب بامرأة، فلما قَعَدَ منها مقعد الرجل من المرأة، ذَكَر مَعاده[1]، فاسْتَعْصَم[2]، وقام عنها، وقال: إنّ من باع جنةً عَرْضها السموات والأرض بمقدار فِتْرٍ بين رجليك لقليل البَصَر بالمساحة.

وكان سليمان بن يسار مفتي المدينة من أحسن الناس وجهًا، فدخلت إليه امرأة، فسامته نفسه، وقالت: إنْ تطاوعْ لأخبرنَّ الناس أنَّك فعلت، ولأفْضَحَنَّك! قال: نعم، وتركها في البيت وخرجَ وفَرّ، ثم رأى في منامه يوسف عليه السلام، فقال له: يا يوسف، أنت الذي هممت، فقال له: وأنت الذي لم تهمّ.

وقال رجل لسقراط: إني تفرست فيك أنَّكَ تميل إلى الزنا. فقال له: صدقَتْ فراستك، إني اشتهيه ولكني لا أفعله.

(1) أي: آخرته، يوم القيامة.
(2) استَعْصَمَ: تجنَّب الرذيلة.

وقلت لبعض المتصوفة: إنّك لوطي؟ فقال: ما تقول في لصّ لا يسرق، هل يلزمه القَطْع[1]؟

ومرّ القسُّ بسلامة المدينة وهي تغني، فأعجبته وطرب، وقال: والله إنّي أحبك! فقالت: نفسي بين يديك، فما يمنعك؟ قال: يمنعني قول الله تعالى: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ۝٦٧﴾ [الزخرف: 67] واخاف أن تكون خلتنا اليوم عداوة يوم القيامة.

2 – امرأة تَعَرّض لها رجل، فدَعَتْه إلى العفاف:

قال أعرابي: خرجت في ليلة بهيمة[2]، فإذا أنا بجاريه كأنها عَلَم، فراوَدْتها، فقالت: أما لَكَ زاجر من عقل إنْ لم يكن لكِ ناهٍ من دين؟ فقلتُ: إنه لا يرانا إلا الكواكب! فقالت: وأين مُكَوكِبُها[3]؟

ونزل أسدي بطائية في يوم صائف، فأتَته بقِرًى[4]، ففَتَنَتْه بعينيها من وراء البُرْقع[5]، فراودها، فقالت: أما يردَعُ الكرمُ والإسلام؟ كُلْ وأقِلْ، وإنْ أردت غير ذلك، فارتحلْ.

ورُوي أن أبرويز راود امرأة على الفجور، فقالت: أيها

(1) أي: قَطْع اليد التي تسرق.
(2) أي: مظلمة.
(3) أي: خالقها.
(4) القرى: طعام الضيوف.
(5) البرقع: غطاء وجه المرأة.

الملك، إنَّ المرأة طُبعت على ثلاثة أجزاء من الإنسانية، فإذا ٱفْتُضَّتْ، ذهبَ جزء، وإذا حَبلتْ ذهب جزء، وإذا وَلدت ذهب جزء. وقد أبيت عن ذلك، فأنا أعيذ الملك أن يخرجني من حَدِّ الإنسانية.

وقيل: انقطع بعض أولاد الملوك عن أصحابه ودخل إلى منزل امرأة، فراودَها، فقالت: حتى نتغذى، فوضعت له خِوانًا[1] عليه عشرون سكرجة[2] كلها كامِخ[3]، فذاقها فرآها لونًا واحدًا، وطَعْمًا واحدًا، ففطنَ إلى أنها تشير إلى أنَّ النساء لون واحد، وأنّ الذي معها مَعَ زوجته، فانكفَّ عنها.

3 – الممدوح بذلك:

قال شاعر:

خَلَوْتُ بها ليلًا ولم أَقْضِ حاجةً
ولَسْتُ على ذاكَ العفافِ بنادمِ

وقال المتنبي:

عَفيفٌ تروقُ الشمسُ صورةَ وَجْهِهِ
فلو نزلَتْ يومًا لحادَ إلى الظِّلِّ

(1) الخوان: مائدة الطعام.
(2) السكرجة: إناء يُؤكل فيه.
(3) الكامِخ: ما يُجْعَل مع الخبز فيُطيِّبه.

وقال:

كم حبيبٍ لا عُذْرَ في اللومِ فيه
لكَ فيه مِنَ التُّقى لوامُ

وسمعت امرأة رجلًا ينشد:

وكم لَيْلَةٍ قد بتُّها غيرَ آثم
بمهضومَةِ الكَشْحَينِ ريانةِ القَلْبِ[1]

فقالت له: خزاكَ الله، ألا تَأَثَّمت[2]؟

4 – من تعفَّف عن امرأة حرامًا، فأوْصله الله إليها حلالاً:

كان لأمير المؤمنين، عليه السلام، جارية وعلى بابها مؤذن، إذا اجتازت به، يقول لها: أنا أحبك! فحكت الجارية لأمير المؤمنين، فقال لها: قولي له: «وأنا أحبك، فماذا»؟ فقالت له، فقال: نصبرُ إلى يوم يوفي الصابرون أجرهم بغير حساب... فأخبرت أمير المؤمنين بذلك، فدعاه وقال: خذ هذه الجارية فهي لك.

5 – صعوبة الأمر على من اجتمع فيه العفة والغزل:

نظر محمد بن عبد الله بن الحسين إلى امرأة جميلة، فأعجبته، فقال:

---

(1) الكَشح: ما بين الخاصرة والسُّرّة. ومهضومة الكشحين: نحيلة الخصر.

(2) أي: فعلتَ الإثم

أَهْوى هَوى الدينِ واللذاتُ تعْجبُني
فكيفَ لي بهوى اللّذاتِ والدينِ؟

فقالت: يا هذا، دعْ أحَدَهما، تَنَلِ الآخر.

قال المتنبي:

إذا كنتَ تخشى العارَ في كُلِّ خَلْوةٍ
فلم تَتَصَبّاكَ الحِسانُ الخرائدُ[1]؟

متى يشتفي من لاعجِ الشّوْق في الحشى
مُحِبٌّ له في قربه مُتَباعِدُ[2]

6 – المتعفِّف عن الجارة:

مر سفيان بن عيينة بدار، فسمع قينة تغني:

ما ضَرَّ قومًا كُنْتُ جارَهم أنْ لا يكونَ لبيتهم سِتْرُ؟
ناري ونارُ الجارِ واحِدةٌ وإليه قبلي يَنْزِلُ القِدْرُ

فدق الباب، وقال: مثل هذا عَلموا فتيتكم.

قال حاتم الطائي:

وما تَشْتكيني جارتي غَيْرَ أنني
إذا غابَ عنها زوجُها لا أزورُها

(1) تتصَبّاك: تدعوك إلى الصَّبْوة. الخرائد: الحييّات.
يقول: إذا كنتَ في الخلوة بهنّ تعفّ، فما لك ولعشق الحِسان.
(2) يَشْتفي: يشفى. لاعج الشوق: شديده.

سَيُبْلغُها خيري فيرجعُ بَعْلُها
إليها ولم ترسلْ عليها سُتورُها

وقال:

رُبّ بَيْضاءَ فَرْعها يَتَثنّى
قد دَعَتْني لوَصْلِها فأبيتُ[1]
لم يكن بي تَحَرُّجٌ غيرَ أني
كنتُ خِدْنًا لزوجِها فاسْتَحَيْتُ[2]

وقال أبو تمام:

بَيْضاءُ كانَ لها من غيرِها حَرَمٌ
ولم يكنْ يُسْتَحلُّ الصَّيدُ في الحَرَمِ

7 – التغازل بالنظر والقول دون الفعل:

قيل لأعرابي: ما الزنا عندكم؟ فقال: الشمّة، والضمّة، والقبلة، فقيل: لكن أهل القرى يعدون ذلك المباضعة، فقال: ليس ذلك زنا إنما هو طلب ولد. وقالت جارية لرجل:

إن كانتِ الغُلْمةُ هاجَتْ بكُمْ
فعالجِ الغُلْمةَ بالصَّوْمِ[3]

(1) فرعُها: شعرها.
(2) الخِدْن: الصديق.
(3) الغُلْمة: الشهوة الجنسية.

لـيـسَ بـكَ الـحـبُّ ولـكـنّـمـا
تَـدورُ مـن هـذا عـلـى الـكـومِ

وقيل: إنّ عمر بن أبي ربيعة لما اشتد به المرض، بكى أخوه، فرفع طرفه، وقال: لعلك تشفقُ مما قلته في شعري! قال: نعم. قال: اعتقْ ما أملك انْ وطئتُ امرأة حرامًا قط. فقال: الحمد لله هَوَّنْتَ علي.

وقال أبو زيد: كان الرجل إذا عشق جارية فراسلها سنة، رضي بأن تمضغ علكًا، فتبعثه إليه، والآن لا يرضى إلا أن يشيل رجليها، كأنه قد أشهد على نكاحها أبا هريرة وحزبه.

وقال إعرابي: خلوت الليلة بفلانة، فكان القمر يرينيها، فلما غاب خَلَفَتْه، قيل: فما جرى؟ قال: الإشارة بغير بأس، والتقرُّب بلا مساس.

قال ابن طباطا:

فَـطَـربـتُ طَـرْبَـةَ فـاسِـقٍ مُـتَـهَـتِّـكِ
وعَـقَـدْتُ حَـبْـوةَ نـاسِـكٍ مُـتَـحَـرِّجِ
واللهُ يَـعْـلـمُ كـيـفَ كـانـت عِـفّـتـي
مـا بـيـنَ خَـلْـخـالٍ هـنـاكَ ودُمْـلُـجِ

وقال العباس بن الأحنف:

أَتَـأذنـونَ لِـصَـبٍّ فـي زيـارتـكُـمْ
فعِنْدَكم شَهَواتُ السّمْعِ والبَصَرِ

لا يُضْمِرُ السُّوءَ إنْ طالَ الجلوسُ به
عَفُّ الضميرِ ولكنْ فاسِقُ النَّظَرِ

وقال أبو عُيَيْنة:

إِنْ تروني فاسقَ العَيْنين فالفَرْجُ عفيفُ
ليس إِلّا النَّظَرُ الفاسِقُ والشِّعْرُ الظريفُ

وقال الحصين بن سهم:

وما في اكْتِحالِ العينِ بالعَيْنِ ريبةٌ
إذا عَفَّ فيما بَيْنَهنَّ السَّرائرُ

8 - امرأة شارفت شهوة، فارتدعت لكرم أو ديانة:

حُكي أن امرأة عشقت فتى، فدعاها يومًا، فأجابته، فغنَّى مُغَنٍّ عندهما:

مِن الخَفِراتِ لم تَفْضَحْ أخاها
ولم ترفَعْ لوالِدِها سِتارا

فلما سمعت ذلك، أبت إلا الخروج، ثم بعثت للرجل بألف دينار، وقالت: هذا مهري، فإنْ أرَدْتني فاخطبني من أبي.

واشترى عبد الملك جارية، فلمّا خلا بها، قالت: يا أمير المؤمنين، ما منزلة أرفع منزلة من منزلتي هذه، ولكن القيامة لها خطر، إن ابنك فلانًا كان قد اشتراني وخلا بي ليلة، فلا يحل لك مسي، فاستحسن قولها، وولاها أمر داره.

9 – عفيفة ألقت بريبة عن نفسها:

لما أكثر الأَحوص التشبيب بأم جعفر الخطمية، جاءته يومًا متنقِّبة[1]، وهو في نادي قومه، فقالت: ادفعْ لي ثمن الأغنام التي ابتعتها مني. فقال: والله، ما ابتعت منك شيئًا. فقالت لقومه: قولوا له لا تَجْحَدِ الحقَّ[2]. فقالوا: إنْ كان حق، فلا تجحدنه! فقال: والله، ما عرفتها قط. فكشفت عن وجهها، وقالت: لعلّكَ لا تَسْتَثْبتني[3]! فقولوا له يستثبتني، فقالوا له، فقال: والله، ما عرفتها قط، ولا رأيتها ولا شاهدتها. فقالت: ما لَكَ تشبب بي وتفضحني؟ فخجل وانزجر ولم يعد، وكذَّبَتْه عشيرته.

10 – امرأة لطيفة القول بعيدة التناول:

قال شاعر:

يُحْسَبْنَ من لينِ الحديثِ زَوانيًا
وَيَصُدُّهُنَّ عَنِ الخنا الإسلامُ

ومر عبد الله بن جعفر بامرأة مُزَيَّنة مُطَيبة جالسة على باب دارها، وفي يدها سبحة، فقال: ما التسبيحُ بمشابهٍ لحالك فأنشدت:

(1) أي: لابسة النقاب، وهو غطاء الوجه.
(2) أي: لا تُنكره.
(3) أي: لا تتذكّرني.

وللهِ عِـنْـدي جـانـبٌ لا أُضَـيِّـعُـه
ولـلَّـهـوِ مِـنّـي جـانـبٌ ونَـصـيـبُ

وقال:

ولَـسْـتُ أُبـالـي مَـنْ رمـانـي بـريـبـةٍ
إذا كـنـتُ عـنـدَ الله غـيـرَ مـريـبِ[1]

وقال علي بن الجهم:

وقُـلْـنَ لـنـا: نَـحْـنُ الأَهِـلَّـةُ إنـمـا
نُضيء لمن يَسْري بليلٍ ولا نقري[2]
فــلا بَــذْلَ إلا مــا تــزوَّدَ نــاظـرٌ
ولا وَصْلَ إلا بالخيالِ الذي يسري

وقال أبو سعيد الرستمي:

وحَسْناءَ لم تأخذْ من الشمسِ شيمةً
سوى قُرْبِ مَسْراها وبُعْدِ منالها

وقال المتنبي:

كأنها الشَّمْسُ تعيي كفَّ قابِضها
لبعدِها ويراها الطَّرْفُ مُقْتَربا

---

(1) مريب: صاحب ريبة.
(2) نقري: نُطعم.

11 - مدح المرأة العفيفة:

قال الشنفرى:

لقد أعْجَبَتْني لا سقوط قناعِها
إذا ما مشَتْ ولا بذاتِ تَلَفُّتِ
كأن لها في الأرض نَسْيًا تقصُّه
على أُمِّها أو إن تُكَلِّمْكَ تَبْلَتِ[1]

وقال جميل:

خودٌ مَن الخَفِراتِ البيضِ لم يَرها
بسُدَّة البيتِ لا بَعْلٌ ولا جارُ

وقال حسان:

حَصانٌ رَزانٌ ما تزن بريبةٍ

وقال الموسوي:

دونَ القبابِ عَفافٌ مع خلائقها
والصَّونُ تحفيظُ ما لا تَحْفُظُ الخِيَمُ[2]

وكانت قرشية رأى شعرها رجل، فحلقته، وقالت: لا أريد شعرًا اكتحل به نظرُ غير ذي مَحْرم.

(1) تبلت: تنقطع في كلامها، لا تُطيله.
(2) الخِيَم: السَّجايا، الطبائع.

12 – من تَجَنَّب العفّة، فاسْتَوْخَم عُقْبى أمره:

في ذلك خبر يسار الكواكب، وهو عبد تعرض لابنة سيده، فقالت له: يا يسار، قِلْ[1] في ظلِّ الأشجار، وإياك وبنات الأحرار! فلما أبى، دعته إلى نفسها، وكانت قد أعدت موسى، فجَبَّتْ به مذاكيره[2]، فصار مثلًا.

وكان أبرويز اختبر رجلًا، فرآه زانيًا خائنًا، فوسمه بسمة الزناة، ونفاه من المدائن، فأخذ موسى وجَبَّ نفسه، وقال: من أطاع عُضْوًا صغيرًا، فسُدَت سائر أعضائه، فمات من ساعته.

(1) قِلْ: خُذ قيلولةً (نومة بعد الظهر).

(2) أي: قطعت ذَكَرَه.

الفصل الثامن
في الغيرة

1 - مَدْح الغيرة:

قال النبي ﷺ: لا خَيرَ فيمن لا يغار. وقيل: كلُّ حبٍّ بلا غيرة فهو حب كذاب. وقيل: لا كَرَمَ فيمن لا يغار. وقال قيس بن زهير لما تزوج في غير قومه لامرأته: أنا غيور فخور أَنِف، ولكني لا آنف حتى أُضار، ولا أفخر حتى أفاخر، ولا أغار حتى أرى. وإنما عنى رؤية الإمارة لا رؤية المواقعة، ودخول الميل في المكحلة.

2 - الحثّ على حفظ النساء:

إِنَّ الـكـريـمَـةَ رُبّـمَـا أَزْرى بـهـا
لينُ الحِجابِ وضُعْفُ مَن لا يَحْزُمُ[1]
وكـذاك حَـوْضُـكَ إن أضَـعْـتَ فـإنـه
يُــوطــا ويُــشْــرَبُ مــاؤه ويُـهَــدَّمُ

---

(1) أزرى بها: أَضَرَّ بها.

3 – مدح ترك الإفراط في الغيرة:

قيل: كثرة الغيرة إضجار، وقلّتها اغترار. وقال معاوية ﷺ : من السُّؤدد ترك الإفراط في الغيرة.

قال مسكين الدارمي:

ألا أيّها الغايرُ المُسْتَشيطُ
على مَنْ تَغارُ إذا لم تغَرْ؟
فما خَيْرُ عِرسٍ إذا خِفْتَها
وما خيرُ بَيْتٍ إذا لم يُزرْ
يَغارُ على الناسِ أنْ يَنْظروا
وهل يَفْتُنُ الصالحاتِ النظرْ
فإنّي سَأُخْلي لها بيتَها
فَتَحْفَظُ لي نَفْسَها أو تَذَرْ

قال الخالدي: ما أراه إلا وكان يقول بالإباحة، وإلا فَلِمَ يُجَوّز ما يأنف منه الاحرار؟

وقيل: اتّهام الرجل المرأة في غير موضع التهمة يَدْعوها إلى ارتكابها.

4 – ترك الغيرة على القيان والتمدُّح بذلك:

أُتي معاوية بالفيل، فصعدَ سطحًا ليرى الفيل، فلما أشرف، رأى في خزانة رجلًا مع جارية له، فقال لها: يا فلانة، هذا أخوك الذي كنت تذكرينه؟ قالت: نعم. فقال:

اصعد أيها الرجل. فصعد فقال: أعجزتك الأماكن كلها إلا داري، أتراك عائدًا؟ قال: لا، فقال معاوية: وعلى من يخرج هذا الحديث لعنة الله!

قال شاعر:

لا تـغـارَنَّ عـلـى جـاريـةٍ إنَّما الغيرةُ مِن سُوءِ الخلُقْ
إقضِ أوطارَك منها ثم قلْ: إنّـمـا أنْـتِ لِـمـرّارِ الـطـرُقْ

وقيل لبعض عشاق قينة: ألا تغار عليها؟ فقال: أمْنَعُ الناس عن ورود الفرات؟ وأنشد:

وإذا مـا أردتَ أن تـمـنـعَ الـنـا
سَ ورودَ الـفـراتِ كُـنْـتَ بـغـيـضـا

وقال آخر:

أأمـنـعُ مِـن وادي زبـالـةَ شُـرْبـةً
وقد نَهلَتْ منه الكِلابُ وعَلَّتِ[1]

وكتب باج الى غلام يعشقه، وكان قد تهدده بمواصلة غيره، فقال:

لا تَـمْـنَـعَـنَّ حِـمـى إزارِكَ سَـيِّـدي
خَـلْـقًـا مـن الـبـيـضـانِ والـسـودانِ

(1) عَلَّت: شربت مرّةً بعد أخرى.

فَلَيَبْلَغنَّك مِنْ جَميلِ تغافلي
ما لم تُبَلَّغْ قطّ مِن كشحانِ[1]
ما لي أُرَوَّع بالقُرونِ كأنني
في الناسِ أولُ عاشقٍ قرنانِ[2]

وقال الخبزأرزي:

قالوا تُحبُّ فلا تغارُ، فقلْ لهم:
لا يمنعُ الماعونُ عندي مَنْ عَقَلْ
إنْ مَسَّه دَنَسُ الإجارةِ مَرَّة
فالماءُ يَغْسِلُ عُذْرَ ذاك إذا اغْتَسَلْ[3]

5 - مَنْع المرأة من الاكتحال برؤية الرجل:

قال عمر: ولأنْ يرى امرأتي ألفُ رجل أحَبُّ إليّ من أن ترى امرأتي رجلًا واحدًا.

وحَجَّ الأشجعي بامرأته، فنظر إلى الناس يوم التروية، فهاله كثرتهم، فقال: إنّ رجلًا يدخل امرأته وسط هؤلاء لمجنون! وضرب وجه راحلته وعاد ولم يحجّ، وقال:

وليسَ بحُرٍّ مَنْ يوسِّطُ زوجةً
له بينَ أهْلِ الموسمِ المُتَقَصِّدِ

(1) كشحان: الذي يُشارك في امرأته.
(2) القرنان: الذي يُشارك في امرأته. كأنه يقرن بها غيره.
(3) الإجارة: أخذ المال لقاء النّكاح.

وفيـهـم رِجـالٌ كـالـبـدورِ وجـوهـهُـم
فـمـن بـيـنِ ذي ظَـرْفٍ كَـثـيـرٍ وأَمْـردِ

6 - وفي غيرة النساء:

رُوي في الـخبر: أيّما امرأة غارت فصبرت، دخلت الجنة. وقيل: غيرة النساء أشد من غيرة الرجال. وقيل: هذا خطأ، فليس ما ينال المرأة، إذا رأت امرأة على فراش زوجها من جنس، ما ينال الرجل إذا رأى رجلًا على فراش امرأته.

تزوج رجل من همدان بنت عمه، وكان محبًا لها، فلم يلبث أن ضَرَب عليه البعث إلى أذربيجان[1]، فأصاب بها خيرًا، واستفاد جارية تسمى حبابة، وفرسًا يقال له الورد، فلما قفل القوم، امتنع من القفول، وقال: أخشى أن امرأتي تمنع عليَّ جاريتي، وإني لمشغوف بها، ثم قال:

ألا لا أُبالي اليوم ما صَنَعَتْ هندُ
إذا بقيَتْ عندي حُبَابة والوَرْدُ
شَديدُ مَناطِ المَنْكِبَيْنِ إذا جرى
وبَيْضاءُ مِثْلُ الريمِ زَيَّنَها العَقْدُ

فسمعت بذلك المرأة، فكتبت إليه:

(1) أي: أرْسِل إلى أذربيجان للقتال.

ألا فاقْرِهِ مِنّي السَّلامَ، وقلْ له:
غَنَيْنا بفِتْيانٍ غَطارِفَةٍ مُرْدِ[1]
إذا شاءَ مَنْهم ناشئٌ مَدَّ كفَّه
إلى كَفَلٍ رَيَّانَ أو كَعْثَبٍ نَهْدِ[2]
فأرسلْ لنا مِنْك السّراحَ فإنَّه
مُنانا، ولا ندعو لكَ اللهَ بالرَّدِّ
إذا رَجَعَ الجندُ الذي أنت فيهمُ
فزادَك رَبُّ الناس بعدًا إلى بعدِ

فلما وصل إليه الكتاب، باع الجارية وبادر إليها، فرآها معتكفة في مصلاها، فقال: ما فعلتِ؟ فقالت: معاذ الله أن أركب مَحْرَمًا، ولكني أردتُ أذيقك طعم الغيرة كما أذقْتني.

وكان رجل بالكوفة متزوجًا بابنة عمه، وله ضيعة بالبصرة يخرج إليها في كل سنة، فتزوج امرأة بالبصرة، فسقط خبرُها إلى ابنة عمه، فكتبت يومًا كتابًا عن أم البصرية تُعَزّيه في ابنتها، وتَستَعجله لقِسْمة ميراثها، ودفعته إلى رجل غريب وأمرته أن يوصله إليه خفيةً، فلما قرأه، تجهَّز وقال: إنَّ أمْر ضيعتي بالبصرة قد تشَعَّث[3]، ولا بُدَّ من أن ألمّ

(1) غطارفة: جمع غطروف، وهو السيّد الشابّ الظريف. المُرْد: جمع أمْرد، وهو الشاب الذي لم تنبت لحيته.
(2) الكفل: المؤخرة. ريّان: سمين. الكَعْثب: الضخمة الفَرَج.
(3) تشعث: اضطرَبَ.

بها. فقالت المرأة: كم تقول البصرة! أحسبك ذا امرأة بالبصرة تشتاق إليها، احلفْ لي بطلاق كل زوجة لك بالبصرة. فقال الرجل في نفسه: وما يضرني ذلك، وقد ماتت امرأتي بها، فحلَفَ لها، فقالت: استقرَّ الأمر فلا بأس بالضيعة، وأخبَرَته بالخبر.

7 – جواز نَهْي الرجل عن التزويج بغير زوجته، وخَطَر ذلك عليه:

رُوي أن النبي ﷺ صعد المنبر يومًا، فقال: إن بني هشام المغيرة استأذنوني أن ينكحوا فتاتهم عليًا، ألا فلا آذنُ، ثم لا آذنُ ثلاثًا، إلا أنْ يحبَّ عليٌّ إن يطلق ابنتي، ويَنْكح فتاتهم، إن فاطمة بِضْعة[1] منّي يريبني ما رابها ويؤذيني ما آذاها. وقال ﷺ: جَدَعَ الحلالُ أنفَ الغيرة.

8 – الميل إلى كل ممنوع والرغبة عن كل مبذول:

قال ابن الطثرية:

أعـافُ الـذي لا هَـوْل دونَ لـقـائِـه
وأهوى من الشُّرْبِ الحريزَ الممَنَّعا[2]

(1) بضعة: جزء.
(2) الحريز: الحصين.

وقال أبو تمام:

إنّي امرؤ أَسِمُ الصبابة وسمها
وتغزّلي أبدًا بغيرِ المغزلِ
غالي الهوى مما يُرقّصُ هامتي
ورويتي الشففُ التي لم تَنْهَلِ

9 - الرغبة عَمَّنْ يُشْركك فيه غيرك:

قال شاعر:

تبِعْتُكَ لمَّا كُنْتَ عِندي مُمَنَّعًا
وأَمْسَكْتُ لمَّا صِرْتَ نَهْبًا مُقَسَّما
ولا يَلْبَثُ الحَوْضُ الجَديدُ بِناؤه
إذا كَثُرَ الورَّادُ أن يَتَهَدَّما[1]

وقال دعبل:

قَصِّرِ الغِوايَةَ عَنْ هَوى قَمَرٍ
وَجَدَ السَّبيلَ إليه مُشْتَرِكا

وقال:

كيف أصفي الودَّ من لا
آمنُ الشَرْكةَ فيه

(1) الورَّادُ: الشاربون.

وقال:

فإنْ تَحْملي رِدْفين لا آلَ فيهما
فسيري رويدًا لَسْتُ ممَّنْ يُرادفُ[1]

من غار على محبوبه ومن غيره:

قال شاعر:

أغارُ عَلَيْكَ مِن الناظرين فلو أَسْتَطيعُ طَمَسْتُ العيونا

وقال ابن المعتز:

أغارُ عَلَيْكَ مِن قِبَلي وإنْ أعْطَيْتَني أملي
وأُشْفِقُ أنْ أرى خَدَّيْـ ـكَ نَصْبَ مَواقعِ المُقَلِ[2]

وقال جميل بن معمر: ما رأيتُ مصعب بن الزبير يمشي بالبلاط إلا لحقتني الغيرة على بثينة، وهي بالجناب.

وكان مالك بن طوق شديد الغيرة، تزوج بامرأة، فلم يأذن لأخيها عليها إلا بعد سنة.

قال عبد الرحمن بن أحمد بن يوسف:

أغارُ على قميصِك حـ ـين تلبَسُه وَأتهمُه

قال شاعر:

أغارُ على نفسي لها وتَغارُ لي
على نَفْسِها إنَّ الهوى لَعَجيبُ

(1) يرادف: يركبُ مع غيره، أو يجعل غيره رديفًا له.
(2) المُقَل: العيون.

علـى أنّنـا لـم نَـذْنْ يـومًـا لـريـبـةٍ
ولا مِـثْـلُـنـا فـيـمَـنْ يُـريـبُ مـريـبُ

وقال الخبزأرزي:

إنّي لَأَحْسُدُ ناظري عليكا حَتى أَغُضُّ إذا نَظَرْتُ إليكا

10 – الصائن محبوبه عن ذكره عند الرجال:

قال الحكيم بن يسير:

ولَسْتُ بواصفٍ أَبَدًا خليلًا أُعَـرِّضُـه لِأَهْـواء الـرجـالِ
وما بالي أُشَوِّقُ عينَ غيري إليهِ ودونه سِجْفُ الحِجالِ[1]
كَأنّي أشْتهي الشُّركاءَ فيه وآمنُ فيه تَغْييرَ الـلـيـالـي

من رضي بميل محبوبه إلى غيره:

قال علي بن عبد الله بن جعفر:

ولـمّـا بَـدا لـي أَنّـهـا لا تُـحـبُّـنـي
وأَنَّ هَـواهـا لـيسَ عَـنّي بـمُـنْـجَـلـي
تَـمَـنَّـيـتُ أنْ تـهـوى هَـواي لَـعَـلَّـهـا
تـذوقُ صَـبـابـاتِ الـهـوى فـتـرقَّ لـي

فَعُيِّر بهذا حتى إنه كان يُسَمى المتديّث[2] في شعره. قال:

(1) السّجف: السّتْر. الحِجال: جمع حَجَلة، وهو موضع العروس يُزَيّن بالسُّتور.
(2) الدَّيّوث: الذي يُشارك غيرَه في امرأته.

وكنت محبوسًا في بعض الأحايين، فجاء رجل إلى باب السجن، فقال: أين المتدِّيث في شعره؟ فقلت: لئن كان مني ذلك القول، فإنّي أقول:

رُبَّما سَرَّني صُدودُكِ عني وإذا ما خلوتُ كُنْتِ التَّمَني

وأُنشد بحضرة عبد الملك بن مروان قول نصيب:

أَهيمُ بدَعْدٍ ما حَييتُ فإنْ أَمُتْ
فيا حربَا ممَّنْ يهيمُ بها بَعْدي[1]

فقال بعض مَنْ حضر: لقد أساء القول، بلْ كان ينبغي أن يقول:

أُوَكِّلْ بدَعْدٍ مَنْ يهيمُ بها بعدي

فقال: هذا أشرّ من الأول، بل يقال:

فلا صَلحَتْ دعدٌ لذي خِلَّةٍ بَعْدي

11 - حُكْم لقاء الرجل بحرمته منكرًا:

قال عبد الله: كُنّا في مسجد رسول الله ﷺ، إذْ دخل رجل فقال: أرَأيتم إن وجد الرجل مع امرأته رجلًا فتكلّم به، جُلِد ظهره، وإن قَتَل قُتِل، وإنْ سكَتَ سكت على غيظه، فقال: اللهمّ افتح؛ فجعل يدعو، فأنزل الله تعالى آية اللعان: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَٰجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمْ فَشَهَٰدَةُ

(1) يا حربا: يا أسَفا، يا حُزْنا.

أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٦﴾ [النور: 6] فجاء هو وامرأته إلى النبي ﷺ، فتلاعنا، فلما التفتت، قال: انظروا، فإن جاءت به أَسْحَم أدْعج[1] العينين عظيم الأليتين[2]، خَدَلَّج[3] الساقين، فلا أحسب عويمرًا إلّا وقد صدق عليها، وإن جاءت به أُحَيْمر كأنه وحرة فلا أحسب عويمرًا إلا وقد كذب.

وقال النبي، ﷺ، لرجل سأله عمن رأى رجلًا مع امرأته: كفى بالسيف شا... أراد شاهدًا، فسكت تفاديًا من أن تسبق الغيرة إلى الغيرة، فيرتكبوا من ذلك محظورًا.

(1) الأدْعج: من كانت عينه سوداء واسعة.
(2) الألية: المؤخّرة.
(3) خدلج: مُمْتلئ، سمين.

الفصل التاسع

في التديُّث

1 - الرضا بالتديُّث:

روي أن رجلًا قال للنبي ﷺ: إن امرأتي لا تَرُدُّ يد لامس. قال: طلِّقْها. قال: إني أحبها، قال: فأمْسِكها إذًا.

وقال الجاحظ: إن جماعة من الرافضة يقولون بالوقاية، فإذا اعتلَّتْ امرأة أحدهم استعار امرأة غيره، بشريطة أن لا يتعرض للفرج بل لما دونه.

ولما ملك قباذ، خرج مزدك، فدعا الفرس إلى الزندقة، فقال: تبادلوا النساء والأموال؛ فأجابوه. ودخل يومًا مزدك فرأى أم شروان، فسأل قباذ أنْ يدفعها إليه، فقبل قباذ، وجَلَّه ان يتجافى عنها، لكن أنو شروان ركع أمامه وقَبَّل رجْليه كي لا ينكحها. فقبل مزدك. فلما مات قباذ، وتولى أنو شروان، دخل مزدك فأمرأن يُقتل، قال: ما ذهبَتْ ريحُ جوربك من أنفي بعد، فقتله وقتل مائة ألف من الزنادقة في غداة واحدة.

وقال رجل لآخر: امرأتك قد كثر نائكوها، فقال: لو ناكها أهل منىً، ما ازدادتْ إلا حظوة عندي.

وقالت امرأة لزوجها: يا دَيُّوث. يا مُفْلس! فقال: واحدة من الله، وواحدة منك، فما ذنبي أنا؟

2 – في التزوج برقيقة الحافر أو مُتَذَوِّقة:

قال أبو الشمقمق لمن أراد التزوج: تزوَّجْ بقَحْبة[1]! فقال: ما هذا؟ فقال: اسمع، القَحْبة تكون أملح وأحرى بأن تكون عالمة بما يحبه الرجال، وتأخذ نفسها بالتَنْظيف، ومتى قلتَ: يا زانية، لم تأثَم، ثم إنها تجتهد أن لا تأتيك بولد، ثم إنها تعرف أنَّك تعرفها، فلا تتكبَّر.

وفي أخبار أبرويز أنه انقطع يومًا عن عَسْكره، فدخل قرية، وكان بها أكّار[2] له ابنة يقال لها شيرين في نهاية الجمال، فتزوج بها، ثم لحقه عسكره فتكلَّم فيه، فصنع طعامًا، فأكلوا، ثم أحضر لهم شرابًا ثخينا[3] يطوف به غِلْمان سود فعافوه، فطاف بشرابٍ صافٍ مع حسان فشربوا، وعلموا أنّه يشير إلى أن شيرين إنّما اصطفاها بعد الطهارة.

3 – المُعَيَّر بفساد الحُرْمة:

قال ابن طباطبا في أبي علي الرستمي:

---

(1) القَحبة: الفاجرة الزانية.
(2) أكّار: فَلّاح.
(3) ثخين: غير صافٍ.

غَـلـقَ الـرُّسْـتُـمـيُّ بـابَ حـديـدٍ
حَلْقَـة الـبـابِ مِن قَـبيـحِ الـلّـقـاء
إنَّ دارَ الـرجـالِ وجـهُـكَ يَـكـفيـ
ـهـا فـعـلـقـه بـابَ دارِ الـنـسـاء

وكان بعض القضاة اتهم ابنته برجل، فأخذه وضربه، وحضر مجلس الوزير ابن الزيات، فقال:

فيا أهلَ ليلى كيفَ يُجْمَعُ شملُها
وشَمْلي وفيما بَيْنَنا شبَّتِ الحربُ
لها مِثْلُ ذنبي اليومَ إن كُنْتُ مُذْنبًا
ولا ذنبَ لي إن كانَ لَيْس لها ذنبُ

فنكس القاضي رأسه، وعلم أنه المعنيّ.

قال بعضهم:

يـا إخـوتـي إنَّ الـقـيـامـةَ دانـيَـه
زانٍ يُـحَـدُّ ولا تُـحَـدُّ الـزانـيَـهْ[1]
إنْ كـانَ هـذا في الـحكومـةِ جـائـزًا
مُـسْـتَـعْـمـلًا، زنَـتِ الـنساءُ عـلانـيَـهْ

قال الخوارزمي:

زُفَّـتْ إلـيـكَ صَـديـقـةٌ لِـفـتـىً فَـصِـرْتَ لـهُ شَـريـكـا

(1) يُحَدّ: يُعاقب بحسب الشَّريعة.

فَعَلَيْكَ كُلُّ مؤونةٍ وعلى شريكك أن ينيكا

وقال أبو علي البصيري وهو من الغايات في هذا الباب:

أَمْسَتْ كَشاحنةِ الدُّنْيا بأجمعِها
بَيادقًا وغَدَوْتَ الرُّخَّ والشاها[1]

وقال آخر:

دَهَتْكَ بِعِلَّةِ الحَمّامِ خَوْدٌ
ومالَتْ في الطريقِ الى سَعيدِ[2]
أرى أَخبارَ بيتِك عَنْكَ تُطوى
فكَيْفَ وُلِّيتَ ديوانَ البريدِ[3]

وقال عمر بن سعدان:

سألَتْ زوجَها الخُروجَ إلى الحقِّ
ويا رُبَّ باطلٍ في الحقوقِ
وأقامَتْ بمأْتَمِ اللهوِ لا مأ
تمِ شَقِّ الشّنوفِ والتَّمْزيقِ[4]

وقال ابن عباد:

(1) البيادق والرخّ والشاه: من أحجار لعبة الشطرنج.
(2) الخَوْد: المرأة الشابّة الناعمة.
(3) تُطوى: تُسْتَر.
(4) الشنوف: جمع شنف، وهو حلقة تُعَلَّقُ في أعلى الأذن.

أيـا بـدرٌ تـزوَّجْـتَ الـعـفـيـفَـه
سَخيفٌ قد تجمَّعَ معْ سخيفَهْ
فَـتـاةٌ لـو يـنـادى نـائـكـوهـا
لكانَتْ جَيْشُها جيشَ الخليفَهْ
إذا مـا غـابَ يـومًـا عـن ذُراهـا
يبيتُ لها ابنُ عَمٍّ في القطيفَهْ[1]

4 - المعروفة بأنّ أولادها من غير زوجها:

قال أبو عمر السراج في أبي العيناء:

جادَ أبـو الـعـيـنـاءِ فـيـمـا اشْـتَـهـى
مِـنْ لـذةِ الـعـيـشِ بـلا مَـرْزِيَـهْ[2]
يَـنـيـكُ مَـنْ يَـخـتـارُ مـن أهـلِـه
ويَـخـصَـلُ الأعـمـى عـلـى الـتـربـيَـهْ

وتزوج رجل بامرأة، فأتت بولد من ستة أشهر، فقال: ما هذا؟ فقالت: بنيتَ جدارك على أسّ غيرك.

وقال بعضهم: رأيتُ رجلًا ومعه ابنٌ لا يشبهه، فقلت له: إنّ ابنك هذا لا يشبهك! فقال: وهل تدع جيراننا أولادَنا تشبهنا؟

---

(1) القطيفة: ثوب يُلقيه الرجل على نفسه.
(2) المَرْزِيَه: المَرْزِئة، المصيبة.

قال كشاجم:

ولـدَتْ ليـلـةَ الـزفـا فِ إلـى بَـعْـلِـهـا ذَكَـرْ
قـلـتُ: مِـنْ أَيـن ذا الـغـلا مُ ومـا مـسَّـهـا بَـشَـرْ؟
قـال لـي بَـعْـلُـهـا: ألـمْ يـأتِ فـي مُـسْـنَـدِ الـخـبَـرْ
وَلَـدُ الـمـرْءِ لـلـفِـرا شِ ولـلـعـاهِـرِ الـحـجَـرْ!
قُـلْـتُ: هـنـيـتُـه عـلـى رُغْـمِ مَـن خـالـفَ الأَثَـرْ

وقال عبدان:

والـمـنـتَـمـونَ إلـيـه مِن أولادِه الله يَـعْـلَـمُ أنـهـم أولادي!

قال مثقال:

لَـكَ أنـثـى تَـزيـفُ فـي كُـلِّ عُـشٍّ
وتُـرَبـي الـفـراخَ فـي أعـشـاشِـك[1]

وقال أبو تمام وقد قلب المعنى:

لو كانَ حِصْنًا بابُه وجدارُه قلَّتْ بَنوها عِنْدَه وبَناتُها
إنَّ البلادَ إذا السُّيولُ تَعاوَرَتْ ساحاتِها عمَّ الفضاءَ نباتُها

5 – من رأى حرمته على مَكْروه فلم يُنْكِرْه:

دخل رجل على امرأته، فرأى عندها رجلًا كانت تُعرف به، فقال له الزوج: أَقْلِلِ الاجتماع معها، فإن الناس

(1) تزيف: تزني.

يذكرونك بها، فقال له: لا يجوز لهم ذلك حتى يروا الميل في المكحلة[1].

وكان رجل يأتي امرأة، فقالت له يومًا وهو يواقعها: إنّ الناس يتهمونني بك! فقال لها: ما عليك أن تُؤجري ويأثموا[2].

ودخل رجل على امرأته، فرآها تحت رجل، فلما فرغ منها العشيق، أخذ الزوج ينيكها، ويقول له: انظر إلى عشيقتك تحتي.

6 - من حَمَلَ على امرأته وصديقته:

قال الرقاشي في دعبل:

لدِعْبلٍ حُرْمَةٌ يَمُتّ بها ... ولَسْتُ حتى المماتِ أنساها
أدْخَلَنا دارَهُ فأكْرَمَنا ... ودسَّ لي امرأتَه فنِكْناها

قال: فلما سمع دعبل، قال: لو قال المتخلّف: فعفناها، كان أبلغ في الهجاء وأعفّ! وقوله: فعفناها أقرب من قول الراعي:

فلمّا قَضَيْنا مِن رَبابَ لُبانةً
أرادَتْ إليـنا حاجةً لا نريدُها[3]

(1) أي: القضيبَ في الفَرْج.
(2) تؤجري: تنالي أجرًا. يأثموا: ينالوا إثمًا.
(3) اللُّبانة: المأرب أو الغاية.

وقال دعبل في الرقاشي:

إنَّ الرقاشي مَنْ تكرمه بَلَغَه مِنْه مُنْتَهى هِمَمِهْ
يَبْلُغُ مِنْ بِرِّهِ ورأفتِه حِمْلانُ إخْوانِهِ على حَرَمِهْ

وقال ابن الرومي:

يُدْخِلُ في زوجتِه أيرَ سِواهُ بيدِه!

وقال ابن الحجاج:

لي حَريفٌ أُفديه في كُلِّ حالِ
فهو واللهِ مِن سُراةِ الرجالِ[1]
بتُّ مع عِرْسِه وكان هو الثا
لثُ في لَيْلةٍ تسودُ الليالِ[2]
فتَكَرّهتُ قُرْبَها أي بأني
رَجُلٌ لا أُريدُ غيرَ الحلالِ
ورأى حِشْمَتي فقال: حَبيبي
ليس هذا طريق نَيْكِ عِيالي!
تَشْتَهي أن تكونَ في صورةِ العبدِ
وإلا في صورةِ الأنذالِ
فابْقَ إني رأيت مِثْلكَ لا يُحْـ
ـرِزُ في صَحْفِه طيورَ الرجالِ

(1) الحريف: المُعامِل في الحِرفة. وسُراة الرجال: أشرافهم.
(2) العِرْس: الزوجة.

٧ – من تَعَرَّض لصاحبه، فجاوبه بما فيه قذف حرمه:

قال الفرزدق لكُثَير، وأراد يَعْبث به: أكانت أمُّك بالبصرة، وأنا بها؟ قال: لا، ولكن أبي كان فيها مع أمك، وكان يكثر الثناء عليها، ويقول: رحمها الله تعالى. فقال الفرزدق: هذه عاقبة من تكلم فيما لا يعنيه!

وقال الفرزدق لزياد الأعجم: أتكلَّمْت يا أقلف[1]؟ فقال: ما أسْرع ما أَخْبَرَتْك أُمُّك، رحمها الله تعالى! وقال ابن سُمَيْة للربيع بن قنعب:

لَقَدْ رأيتُك عُرْيانًا ومُؤْتَزِرًا
فما علمْتُ: أَأُنْثى أنتَ أم ذكرُ

فقال: لكن سُمَية قد علمتْ.

وقال إنسان لجرير: أنتَ تَقْذف المحْصَنات. وقال: لكن أمك لا يصيبها من ذلك شيء!

وقال عمر بن عبيد: متى عَهْدُك بالزنا؟ فقال: مذْ ماتَتْ عِرْسُك رحمها الله!

وقال معاوية لعقيل بن أبي طالب رضي الله عنهما، إنّ فيكم لشبقًا[2] يا بني هاشم. فقال: هو منّا في الرجال ومنكم في النساء!

(1) الأقْلَف: العظيم القلفة، وهي جلدة عضو التناسُل، أو الذي لم يُخْسى.
(2) الشَّبق: الشهوة الجنسيّة.

ومر رجل بأَكّار[1] فقال: لو إن هذه المزرعة تنبت أيورًا، أين كنت تَقْعد؟ قال: كنت أعمد إلى حزمة فأجعلها في حِرِ أمك، وأقعد مكانها!

8 – التعيير بالأكل مِنْ كَسْب امرأته:

قال شاعر:

جواريكَ أطْعَمْنَك السُّكَّرا وأنْزَلْنَكَ المنزلَ الأكْبرا
ولولا جَواريكَ ما أطعمو ك على قُبْحِ وجهِك إلّا خرا!

وكان رجل له امرأة تتكسَّب وتطعمه، فطلَّقها وتزوج عفيفة، فلم يجد ما كان يجده، فذكر لها ذلك، فجاء يومًا، فوجد طعامًا وشرابًا، فقال: من أين هذا؟ فقالت: زارنا فلانٌ، فأكل وشرب وجامع، وحمل إلينا طعامًا وشرابًا وحلوًا، وهذا نصيبك! فقال: إذا تعاطيتِ مثل هذا، فإياك وأخباري وتفاصيل ما يجري، فإني غيور!

9 – من ذَكَرَ حَظْوته عند حرمة صاحبه:

قال منصور بن باذان:

لَئِنْ كُنْتُ عِنْدَكَ لا قدْرَ لي فعِنْدَ عِيالِكَ في المَخْنَقَهْ
وإنْ كُنْتُ عِنْدَكَ ذا تهمةٍ فإني بعِرْسِكَ عَيْنُ الثِّقَهْ

(1) أكّار: مُزارع، فلاح.

10 – من قَذَف امرأته برجل فرأى حقيقة ذلك:

وقع بين مُزبِد وبين رجل خصومة، فقال الرجل: أتُخاصِمني وقد نِكْتُ امرأتك كذا وكذا مرة، فرجع الى امرأته، فقال: أتعرفين فلانًا؟ فقالت: أبو فلان! فقال: ناكَكِ والله!

وقال أبو عمرو بن العلاء: أقبلتُ من مكّة ومعي جَمّال، فَجَعل يقول:

يا ليتَ شِعْري هل بَغَتْ عليَّه؟

فَسَمع رجلًا يقول:

نَعَمْ بغَتْ وناكَها جَحِيَّه

فرجع الى امرأته، وقال لها: أتعرفين فلانًا؟ فقالت: مازال لنا مُتَعَهِّدًا وفي حاجاتنا سريعًا، فَأَحَسَّ بالشّرّ فنظر، فإذا في قفاه كيّ، فقال: اذهبي، فأنتِ طالق!

11 – وَصْف المرأة الفاسدة:

تقول: هي رقيقة الحافر، وهي واسِعة الحبل.

قال شاعر:

أَلِمَّا على دارٍ لواسِعَةِ الحبلِ
أَلوف تُسَوّي صالحَ القومِ بالرَّذْلِ
ولوْ شَهِدَت حُجّاجَ مَكَّةَ كلَّهم
لأَمسَوا وكُلُّ القَوْمِ منها على وَصْلِ

وقال:

ومـا هـي إلا نـظـرَةٌ وتَـبَـسُّـمٌ
فَتَبْذُلُ رِجْلاها وتَسْقُطُ للجَنْبِ

وقال:

فلا تُكْثري قَوْلًا مَنَحْتُكَ وِدَّنا
فقولُك هذا للفُؤادِ مُريبُ
تعدِّين ما أَوْلَيْتِني مِنْكِ نائلًا
وللقابسِ العَجْلان مِنْكِ نصيبُ[1]

وقال:

تُصاحِبُ في اليومِ القَصيرِ ثلاثةً
فإنْ زادَ شَيْئًا أكملَتْها برابِعِ
وكُنْتُ أُسَمّيها النُّوارَ فأصْبَحَتْ
لَدَيَّ وقد كَنَّيتُها أمَّ جامِعِ

12 – نوع من ذلك:

تشاجر رجلان من حمص في امرأتيهما أيّتهما أحسن، فرآهما القاضي، فأقبل على أحدهما، فقال: نَيْكُ امرأتِك في استها أحَبُّ إليَّ من نيك امرأة هذا في حِرِها، فأقبَلَ المحكوم له على رفيقه، وقال: ألَمْ أقلْ لك؟

---

(1) القابس العَجْلان: طالب النار المُسْرِع.

وقال جرير للأَحْوص: أنت القائل:

يَقرُّ بعَيْني ما يُقرُّ بعَيْنها

قال: نعمْ؟ قال: أنه يقر بعينها أن يدخل فيها مثل ذراع البَكْر، أفيَقَرّ بعينك ذلك؟ فأَفْحَمه.

قيل: لا يمنَعُ مَرْعى عِرْسه من أباح حمى نفسه. وقيل لأعرابي: هل بامرأتك حَبَل؟ فقال: لا أدري، والله ما لها ذنب فتشولُ[1] به، وإنّي لا آتيها إلا ضَيْعة.

(1) تشول به: ترفعه.

القسم الثاني:

في اللِّواطة والإجارة، والأُبْنة، والتَّخَنُّث، والدَّلْك، والدَّبيب، والقيادة، والزِّنى

الفصل الأول
في اللّواطة والإجارة

1 - النهي عن اللِّواطة:

قال الله تعالى حكاية عن لوط عليه السلام: ﴿أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم ﴿١٦٦﴾﴾ [الشعراء: 165-166]. ولعن النبي ﷺ الفاعل والمفعول به، وقد أجرى كثير من الفقهاء فاعلَ ذلك مجرى الزاني، وأمرَ أمير المؤمنين رضي الله عنه فيمن رُئِيَ كذلك أنْ يُرْمى من سطح.

قال شاعر:

قَـدْ أَمَـرَ اللهُ فـلا تَـعْـصِـه أن لا يُزارَ البَيْتُ مِنْ خَلْفِه

2 - المَعيَّر بها:

كان أبو نواس مولعًا بأبي عبيدة النحوي، فكتب يومًا على اسطوانة كان يستند إليها:

صَـلّـى الإلـهُ عـلـى لـوطٍ وشـيـعَـتِـه
أبـا عـبـيـدةَ قُـلْ بـاللهِ: آمـيـنـا
لأَنـتْ عِـنْـدي بـلا شَـكٍّ زعـيـمُـهـمُ
مـنـذُ احـتلـمْـتَ ومـذْ جاوزْتَ سِـتِّـينا

فلما رآه أبو عبيدة، قال لأحد اصحابه: ويلك اصْعَدْ فوقي وحكّه، فتطأطأ له، فلما ثَقُلَ فوقه، قال: أوجِزْ. قال: قد حككْتها الا لوطًا، فقال: ويحك تركت المقصود!

وكتب لقوةُ رقعةً دفعها إلى علي بن عيسى:

وزَعَمْتَ أنَّكَ لا تلوطُ فقُلْ لنا:
هذا المُهَفْهَفُ واقفٌ ما يَصْنَعُ؟
شَهِدَتْ عليك به شَواهدُ ريبةٍ
وعلى المُريبِ شواهدٌ لا تُدْفَعُ

فَوَقَّعَ فيها:

إنّ الفؤادَ بمن تراه مُشْغَفٌ
والقَلْبُ ذو حَرَجٍ فماذا أصْنَعُ؟

ورأى يحيى بن أكثم في دار المأمون جماعة من صِباح الغلمان، فقال: لولا أنْتُمْ لكنّا مؤمنين؛ فرفع ذلك إلى المأمون، فعاتبه، فقال: إنَّ درسي كان انتهى إلى ههنا.

3 – الراغب عن النساء المائل إلى المُرْد[1]:

قيل لأبي نواس: زَوَّجَكَ اللهُ الحورَ العين. فقال: لست بصاحب نساء، بل الوِلْدان المُخَلَّدين.

أنا الماجنُ اللوطيُّ ديني واحدٌ
وإني في كَسْبِ المعاصي لَراغِبُ

(1) المُرْد: جمع أمْرد، وهو الغلام الذي لم ينبت شاربه.

أَدينُ بدينِ الشَّيخِ يحيى بن أكثمٍ
وإني لمنْ يهوى الزِّنى لَمُجانِبُ

وقال الأصمعي: رأيت شيخًا يُطاف به، ويُنادى عليه: هذا جَزاء من يلوط. والشيخ يقول: بَخٍ بَخٍ لا زنا ولا سرقة، الا لواطًا مَحْضًا!

قال أبو نواس:

ولي قَلَمٌ يكْبو إذا ما حَمَلْتُه
على بطنِ قِرْطاسٍ وفي الظَّهْرِ يُعْنِقُ(1)

واجتمع الجرشيُّ وسِيّاهُ اللوطيان، فقيل لأحدهما: ما بَلَغَ من لِواطك؟ فقال: أنيكُ كل ذَكَر؟ وقيل لآخر، فقال: أَدُلُّكُ على كل ذَكَر.

وقيل لشيخ تعاطى اللِّواط: ألا تَسْتحي؟ فقال: أَسْتَحي، وأشتهي!

قال شاعر:

إنَّما الدُّنْيا طَعامٌ ومُدامٌ وغُلامْ
فإذا فاتَكَ هذا فعلى الدُّنْيا السَّلامْ!

4 - تَفْضيل المرد على النسوان:

قيل لأبي مسلم صاحب الدولة: ما أَلَذُّ العيش؟ قال:

(1) يعنق: يُسْرع.

طعامٌ أهبر[1]، ومُدام أصفر، وغُلامٌ أحْور[2]! وقيل له: لِمَ قَدَّمتَ الغلام على الجارية؟ فقال: لأنَّه في الطريق رفيق، وفي الإخوان نديم، وفي الخَلْوة أَهْل.

وقيل لعافية القاضي: لِمَ اخترتَ الغلام على الجارية؟ فقال: لأنَّه لا يحيض ولا يبيض.

قال شاعر في معناه:

ومَـأْمـونٌ بِـحَـمْـدِ اللهِ مِـنْـهُ الـطَّـمْـثُ والـحَـبْـلُ

وقال بعضهم: الغلام استطاعة المعتزلة لأنه يصلح للضدين، يَفْعل ويُفْعَل به، والمرأة استطاعة المُجْبِرة لا تصلح إلا لأحد الضِّدَّين.

5 - الرغبة عن الغلمان إلى النسوان:

قيل لأعرابي: ما تقول في نَيْك الغلمان، فقال: اغربْ، قَبَّحَك الله! إني والله لأعافُ الخراء أنْ أَمُرَّ به، فكيفَ أَلِجُ[3] عليه في وَكْره!

وسئل أبو عبدالله المنتوف: ما بالُ النائك في الاست أسرعُ

(1) الأهْبَر: الكثير اللحم.
(2) الأَحْور: الشديد بياض بياض العين، وسواد سوادها.
(3) ألج: أدخل.

فراغًا من النائك في الحِرِ[1]؟ فقال: إنَّك لو أَلْقِمْتَ[2] خراءً، كنتَ أسرعَ قيئًا مِنْكَ إذا شربتَ بولًا.

قال محمد بن جعفر العلوي:

وكَمْ نادَمْتُ مِنْ ذَكَرٍ وأُنثى فَفَضَّلْتُ الإناثَ على الذُّكُورِ
ألا إنّ الإنـاثَ ألـذُّ قُـرْبًـا وأَلْوَطُ بالقلوبِ وبالصُّدورِ

6 - غلام تشير إليه الرجال والنساء لحسنه:

قال أعرابي: فلان تنافس فيه عيونُ الرجال وتفتَنُّ به رَبات الحِجال[3].

قال الخوارزمي:

مُـؤَنَّـثُ الـدَّلّ إلا أنَّـهُ ذَكَـر
لـمسلـمٍ وابن هاني فيه شَرْطانِ[4]

قال أبونواس:

لـهـا مُـحِـبَّان: لـوطـيٌّ وزَنّـاءُ[5]!

ويصُحّ ان يحمل على هذا قول الآخر:

---

(1) الحر: الفرج.
(2) ألقمتَ: أطعمتَ.
(3) ربّات الحِجال: النساء.
(4) مسلم: هو مسلم بن الوليد المشهور باللّواط. وابن هاني: أبو نواس المشهور أيضًا باللّواط.
(5) الزّنّاء: الكثير الزّنى.

تَـنـافَـس فـيَّ عُـيـونُ الـرِّجـال
وتَعْثُرُ بي في الحُجولِ الغواني[1]

7 – تفضيل ذوي الخصى في التعاطي معهم على الخصيان:

قيل لأبي نواس: لِمَ تَدْفع إلى الغلام أكثر مما تدفع إلى الخصي؟ فقال: لأنّ مع الغلام بَيْدَقين يَدْفع بهما الشاه في وسط الرقعة[2].

وقيل لآخر: لِمَ لا ترغب في الخصيان؟ فقال: لأني لا أرْكَب الزورق بلا دقل[3]. وطلب رجل من بعض القّوادين[4] أمرد، فجاءه بجارية، فقال: لا أريدها. قال: أفتريدُ أحسَن منها؟ قال: انما اريد من تحته ذَكَر وخصيتان. قال: فَدُسَّ في حِرِها جزرة، وعلِّقْ عليها بصلتين، واحْسِبْ أنَّها ذكرٍ، وائتها في دُبُرها، إنْ لم يكن لك غرض آخر.

8 – المتعاطي مع كلّ احد:

قال ابن الحجاج:

الـنَّـيْـكُ بـالـتَّـمْـيـيـزِ لا وَجْـهَ لـه
فـلا تَـكُـنْ تَـيْـسًـا شَـديـدَ الـبَـلَـهْ

(1) الحجول: جمع حَجْل. وهو الخَلْخال.
(2) البيدق والشاه: من أجزاء الشطرنج.
(3) الدقل: خشبة طويلة تُشدّ في وسط السفينة ويُمَدُّ عليها الشّراع.
(4) القوّاد: الذي يُهَيّىء للزّنى (سمسار الدعارة).

إيــاكَ تَـسْـتَـقْـذِرُ شـيـئًـا تَـرَه
ونِـكْ ولـو كَـلْـبًـا عـلـى مَـزْبَـلَـهْ

قال الخوارزمي:

إذا فـاتَـهُ تَـحْـصـيـل ظَـبْـيٍ مُـقَـنَّـعٍ
فَـهِـمَّـتُـهُ تَـحْـصيـلُ ظَـبْـيٍ مُـعَـمَّـمِ(1)
يـصـيـدُ كِـلا الـظـبـيـيـنِ هـذا وهـذِه
حـنـيـفٌ ولـكـنْ فِـعْـلُه فِـعْـلُ مُـجْـرِمِ

قال ابن بسام:

وأهْــوى الـمُـرْدَ والـشُّـبّـانَ طُـرًّا
ولا آبـى مـواصَـلَـةَ الـكَـعـابِ(2)

وسأل بعض المتفاكهين رجلًا: إلى أيّ الجنسين تَميل؟ فقال: إلى كليهما. فقال: أنت إذًا الغراب تأكل الخراء، وتلتقط الحَبَّ.

- مَنْ رُئيَ من اللاطة متعاطيًا فاحتج بآية:

وُجد مؤذِّن على ظهر صبي نصراني بالمسجد، فقيل: ما تَصْنع؟ فقال: أليس الله يقول: ﴿وَلَا يَطَـُٔونَ مَوۡطِئٗا يَغِيظُ ٱلۡكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنۡ عَدُوّٖ نَّيۡلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ

(1) الظبي المُقَنّع: الفتاة الحسناء. والظبي المُعَمَّم: الغلام الجميل.
(2) الكعاب: الفتاة التي نَهَدَ ثَدْيُها وأشرف.

صَـٰلِحٌ﴾ [التوبة: 120]؛ فأيُّ موطئ أغْيَظ للكفار من هذا؟ وقيل لرجل وُجِدَ مع صبي على منارة: ما تَصْنع؟ قال أُبدِّل تِكّته بتكّتي.

ورُئيَ معلّم ينيك صبيًا قائمًا. فقيل له: لِمَ لَمْ تُنِمْه؟ فقال: وقع عليه الفعلُ، فانتصَب. ورُئيَ آخر على ظهر غلام، فقيل له: ما تَصْنع؟ قال: أردت أنْ أُريَه باب الفاعل والمفعول: فقالوا: وما هذا الذي بينكما؟ قال: حَرْف جاء لمعنى.

وذكَرَ رجلٌ رجلًا فقال: هو أبدًا مضافٌ أو مضافٌ إليه. ورُئيَ شيخ ينيك أمْرَدَ قبيحًا، فقيل له، فقال: أنا اليوم شيخٌ أنيكُ مَهْما تيَسّر. ورُئيَ شيخ في مسجد وتحته صبي فَهُجم عليهما، فعدا الصبي، فنظر الشيخ إلى متاعه منتصبًا، فقال: وتركوك قائمًا!.

10 – من فُعِل به من المردان وسُئل، فاحتَجّ أنه كان هو الفاعل:

أدخل الجمازُ[1] غلامًا ففعل به، فلما خرج الغلام، قال: أدخَلَني الجماز لأفْعَلَ به، فقيل ذلك للجماز، فقال: قد حُرِّمَ اللِّواطُ إلّا بوليّ وشاهدين.

وحُكي عن بعضهم أنَّه أدخل صبيًا، فدفع إليه دريهمات،

(1) الجَمّاز: شاعر اشتُهر بالمُجون واللِّواط.

وقال له: انبطحْ. فقال الغلام: بلغني أنَّ الغلمان يفعلون بك. فقال: أمّا الفعل فلي، وأما الدعوى فلهم، فانبطِحْ، وقُلْ ما بدا لك.

11 - المتكسِّب بالإجارة والمحتج لها:

فَرّ غلام من حمص إلى بغداد، فرأى كثرة الإجارة بها، فاستَرَدَّته أمه لعمارة طاحونة له بحمص، فكتب إليها: يا أماه، إنّ استًا بالعراق خيرٌ من طاحونة بحمص.

قال ابن سكرة، فيمن اكتسَبَ مالًا بالإجارة، فَقُطع عليه الطريق:

وضامِن الأَقواتِ والأَرْزاقِ   لا أَفْلَحتْ دَراهمُ البزاقِ

وقال رجل لغلامه: يا مُؤاجر. فقال: أنتَ صَيَّرْتني هكذا. ونحوه قال بعضهم لامرأته: يا واسعة، فقالت: أنتَ وَسَّعْتَني بدهاوتك التي تحتك.

وقيل لغلام: ما صناعتك؟ قال: أنهدف للزناة. قيل: فما صبرك؟ قال: أصْبَرُ من أرض على وتد.

وقيل لمؤاجر في شهر رمضان: هذا شَهْر كساد! فقال: بقي اليهود والنصارى. ومثلهما أحيل على مؤاجر بدراهم في شهر رمضان، فقال للمحتال: اصبرْ إلى زمن الافتتاح، يعني الإفطار.

قال الصاحب:

صـاحـبُـنـا أحْـذَقُ فـي الإجـارهْ
مِنْ جَعْفرِ اليزديّ في التّجارهْ

وقال آخر:

لـه بَـراحٌ فـي سَـراويـلِـه يَـزْرَعُ فيه قَصَبَ السُّكَّرِ

12 - المُرَخِّص السعر قبل طلوع اللحية:

كان أمرد رَخَّصَ سِعْرَه حين بَقَلَ عذاره[1]، فقيل له في ذلك، فقال: وتجارة تخشون كسادها!

قال شاعر:

تَـغَـيَّـرَ حُـسْـنُ صـورتِـه الـبَـهِـيَّـهْ
وكـانَ خـروجُ لـحـيَـتِـه بَـلـيَّـهْ[2]

وقال ابن طباطبا لأمرد قد شارف الالتحاء:

فبادِرْ بإحسانٍ يَنوبُ فقد نرى
بَدائعَ شِعْرٍ في عِذارَيك تَطْلَعُ

وقال آخر:

قد انقضَتْ سوقُه فأَرْخَصَها
وآخِرُ السُّوقِ تَرْخُصُ السِّلَعُ

---

(1) العذار: الخدّ.

(2) البليّة: المصيبة.

13 - طلب المرد والنساء الدراهم:

أَنشد بشارٌ امرأةً:

هـلْ تـعـلـمـيـنَ وَراءَ الـحُـبِّ مَـنْـزلـةً
تُـدْنـي إِلـيـكِ فـإِنَّ الـحُـبَّ أَقْـصـانـي

فأجابته:

نَعَمْ عَلِمتُ وخَيْرُ القولِ أصْدَقُه
بَـذْلُ الـدراهـم يُـدْنـي كُـلَّ إنـسـانِ
مـن زادنـا الـنَّـقْـدَ زِدْنـا فـي مَـوَدَّتِـه
مـا يـطـلـبُ الـنّـاسُ إِلَّا كـلَّ رُجْـحـانِ

وقال رجل لصبيّ كان يصحبه، فتركه وصحب غيره: يا غَدّار، كيفَ تَرَكْتني، وصحبتَ غيري؟ فقال: الدنيا قَبّان، والناس مع الرجحان. وكتب غلام على تكته:

قَـفَـلْـتُ يـا قـومُ عـلـى تِـكَّـتـي   لـكـنّـهـا مِـفْـتـاحُـهـا الـدِّرْهَـمُ

وكتب آخر:

مَـن رامَ أَنْ يَـدْخُـلَ حـانـوتَـهُ   فَـلْـيَـزِنِ الـشَّـرْطَ قَـبْـلَ بُـغْـيـتِـه

وقالت مغنية لمنْ رامَ وَصْلها:

عـلـى حِـري غَـلّـةٌ مُـوَظَّـفـةٌ   تَـمْـنَـعُ نَـيْـكـي إلا بـتَـحْـصـيـلِ

ودخل أبو نواس خربةً، فرأى شيخًا مع غلام، فقال: ﴿مَا هَٰذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ﴾ [الأنبياء: 52]؟ فقال له الشيخ:

نريد أن نأكل منها؟ فقال أبو نواس: ﴿فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾﴾ [الحج: 28]. فقال الغلام: ﴿لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: 92].

وراودَ مُقرئٌ غلامًا، فقال له: ما تعطيني؟ فقال: أستغْفِرُ لك ما دمتُ حيًا، وأقرأ لك كل يوم آيات. فقال له: اقرأ على نفسك: ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا﴾ [الأحزاب: 25].

ودفع رجلٌ إلى أمرد دراهمَ، فلمّا كَشَفَ أيره، استَعْظَمه، فامتنع، فقال له الرجل: إمّا أنْ تَسْتَدْخله، وإمّا أنْ تشتم معاوية. فقال: الصبر على الاستدخال أهونُ من شتم خالي أمير المؤمنين. فلما أدخله فيه، قال: أخْ، يا رب هذا في هوى وليّك قليل، اللهم إني قد بذلت نفسي دون شتم معاوية، فَصَبِّرْني!

14 – مَنْ رَدَّ من المرد مراوده بلطف:

عَشِقَ رجل غلامًا، فكتب إليه يدعوه، فكتب الجواب له: شَكْواك تدعونا إلى إسعافك، وصِيانَتُنا أنفسنا تدعونا إلى مَنْعك، ولَمَكْروه المنع خير من إسعاف يطلق لسان الحاسد بما يَشينُنا ويشينك[1]، فإنْ وجدت فرصةً أثقُ معها بالستر، وآمَنُ سوء الذِّكْر، أصِلُ إليك، مشترطًا عليك أن تجعل العفة نُصْبَ عينيك والسلام.

(1) أي: يعيبنا ويعيبك.

15 – من قَصُرت أيام مروديته:

قال كشاجم:

قدْ رأيناهُ بالعَشِيّ غلامًا　　وغَدَوْنا نَعُدُّه في الكهولِ

وقال ابن طباطبا:

فالمردُ أطولُ مُلْكِهم في عُمْرِنا
ما بَيْنَ مُدَّةِ غَدْوةٍ وعَشاءِ

16 – من تمنى التحاء محبوبه:

قال شاعر:

يا رَبِّ إنْ لم يَكُنْ في وَصْلِه طَمَعٌ
وليسَ لي فَرَجٌ من طولِ جَفْوَتِهِ
فاشْفِ السَّقامَ الذي في لَحْظِ مُقْلتِه
واسْتُرْ ملاحةَ خدَّيْه بلِحْيَتِهِ

17 – ذمّ من التحى وكَسَد سوقه واسْتُقْبح وجهه:

قال ابن المعتز:

أنّى تَتيهُ وقد عَلا　　كَ الشَّعْرُ في الخدِّ القَحِلْ؟
وخَرَجْتَ مِنْ حدّ الظّبا　　ءِ وصِرْتَ في حَدِّ الإبِلْ

قال آخر:

الموتُ أهْوَنُ مِن سوا　　دِ العارِضَيْنِ[1] لمَنْ عَرفْ

---

(1) العارض: صَفحة الخَدّ.

وقال:

هلالي كان حينَ يُرى يُفدّى
فصارَ الآنَ حين يُرى يُزنّى

وقال:

قد هَرَبَ التقبيلُ مِن خَدٍّ مَنْ
يجري على عارِضِهِ المِشْطُ

وقال آخر:

قِفا نَبْكِ في رَسْم الخُدودِ الدَّواهبِ
مَنازلَ مُجَّتْ باللِّحى والشَّوارِبِ

وقال أحمد بن أبي فنن يخاطب صاحبًا له التحى:

الآنَ إذ لعبَ البلا بكَ زُرْتَنا
هَيْهاتِ ما يُقْرَا عَلَيْكَ سَلامُ

وقال علي بن حمزة الأصفهاني:

أيا عارِضًا غَطّاهُ مِخْلاةُ بَغْلةٍ
حَكَى شَعْرُها ليفًا على جَوْزةِ الهندِ
كَعُثْنونِ بكْرٍ أنسَلَ البَقْلُ زَفَّه
وشَعْرةِ أنثى مِنْ عرينهِ أو فَهْدِ[1]

(1) العُثْنون: شعرات صغار عند موضع الذبح من الجمل أو نحوه. البكر من الجمال: الفتيّ. والأنثى من عرينه: اللّبوة.

18 - المتعاطي مع ذوي اللِّحاء:

قيل لبعض الغلمان: ما حالك؟ قال: لا تسألْ، مولاي ينيكني منذ سنة بالحجّة. قال: كيف ذلك؟ قال: إنه ينيكني كل يوم، فإذا قلت له: أما تستحي قد كبرتَ وشبت! يقول لي: يا بارد كبرتُ من البارحة إلى اليوم؟

قال جحظة:

يقولُ لي يومًا وقدْ جئتُه:
تَلوطُ بي بعدَ الثلاثينا؟
فَقُلْتُ: إنْ دمتَ كذا طَيِّبًا
نِكناكَ مِن بعدِ الثمانينا

وقال أبو نواس:

فدونَك مَعْشَرًا عظُمَتْ لحاهم
وأشْرعَ فيهمُ سُمْرُ العوالي[1]
ولا تَعْدِلْ بهم ما دُمْتَ حَيًّا
فإنَّ العَيْشَ في الصُّهُبِ السّبالِ[2]

---

(1) السُمْر العوالي: الرماح الطويلة.
(2) الصُّهُب: جمع أصْهَب، وهو من كان في شعره حُمْرة أو شُقْرَة. السّبال: جمع سبلة، وهي طرف الشارب من الشّعر، أو مُقَدَّم اللحية.

19 – من أزدادت صَبْوته بالتحاء محبوبه:

قال إبراهيم بن العباس:

وكُنْتُ أُرَجّي أَنَّهُ حينَ يَلْتحي
يُفَرِّجُ أحزاني ويُعْقِبُني صَبْراً
فلمّا التحى واسْوَدَّ عارضُ خَدّه
تزايدَتِ البلوى لواحدةٍ عشرا

قال أبو تمام:

قال الوشاةُ: بدَتْ في الخدِّ لحيتُه
فقلت: لا تُكْثِروا، ما ذاكَ عائبُهُ
الحُسْنُ منه على ما كنتُ أعْهُدُه
والشَّعْرُ حِرْزٌ له ممَّنْ يطالبُهُ
فصار مَنْ كان يلحي في مَحَبَّتِه
إنْ سيل عني وعَنْه قال: صاحبُهُ

20 – ذَمّ المائل إلى الملتحي:

قال شاعر:

مَنْ يَعْشَقُ المُرْدَ لهُ حُجَّةٌ وعُذْرُه في الناس مَبْسوطْ
ولَسْتُ أدري ما يقولُ الورى في حُبِّ ذي اللِّحيةِ تخليطُ(1)

وقال أبو نعامة:

---

(1) التخليط: الكذب.

وإذا الفتى حامى على ذي لحيةٍ
وخلا بهِ فَوَراهُ تَخليطُ

وقال ابن أبي البغل:

تَعَشُّقُكَ الرِّجالَ يَدُلُّ عندي
على أنَّ الرَّحى قَلَبَتْ ثِفالا(1)
وإلا فالصِّغارُ ألذُّ طَعْمًا
وأحلى إن أرَدتَ بهم فعالا

وقال أبو نوفل:

فواللهِ ما أدري إذا ما خَلَوْتُما
وأُرْخِيَتِ الأَسْتارُ أيُّكما يعلو

21 – المتمَكِّن من غلام مطلوب والتعريض به:

قال جحظة:

سألتُهُ حُوَيْجةً تمرَّضا وكان ما كانَ فكابَدْنا القضا

احتال عبد الصمد على غلام حتى أدخله الدار، وترفق له حتى قضى منه وَطَره، فقال:

قدْ علَوْنا على الكَفَل واسْتَرَحنا مِن الخَجَلْ
لَمْ يَزَلْ في تَمَنُّعٍ وإباءٍ ولمْ أزَلْ

(1) الثِّفال: الحجر الأسْفل من الطاحونة، وجلْدٌ يُبسط تحت الطاولة ليسقط عليه الدَّقيق.

فَبَلَغْتُ الذي بَلَغْتُ بِهِ غايةَ الأَمَلْ

وقال ابن الرومي:

يا طَيِّبَ الثَّغْرِ والمُجاجَةْ[1] إقضِ لنا حاجَةً لحاجَةْ
خُذْ مِن دنانيرنا وبِعْنا نَيْكًا ودَعنا مِن اللَّجاجَةْ[2]
فإنَّما حاجتي إليكُمْ حاجةُ ديكٍ إلى دجاجَةْ

22 – الميل إلى سود الغلمان في التعاطي:

رُئي سياه[3] ينيك غلامًا أسود، فقيل في ذلك، فقال: الأسودُ طيِّبُ النكهة، لَيِّن الأفخاذ، ملتهب الجوف، رخيص الجذر، سريع الإجابة، لأنك تدعوه لتنيكه، فيظن أنك دعوته لينيكك. وقيل لبعضهم: لمَ تختار السودان، فقال: لأنهم أسْخَن. قيل: نَعَمْ للعين.

23 – استعارتك غلام صاحبك:

كتبَ البحتري إلى صديق له تَعَرَّض لغلامه، فعاتبه:

نِكْ غلامي إنِ اتَّخَذْتُ غلامًا
واعْفُ إنَّ المعروفَ كانَ قُروضا[4]

(1) المجاجة: الرُّضاب.
(2) اللجاجة: الإلحاح.
(3) سياه: رَجل اشْتَهر باللُّواط.
(4) قُروض: دَين.

وإذا مــا أردْتَ أن تَـمْـنـعَ الـنــا
سَ ورودَ الـفـراتِ كُـنْـتَ بـغـيـضـا

ويعث أبو سعد الشاعر غلامه إلى أبي مندويه فاحتبسه، وكتب إليه:

أمْسى رسولُكَ رَهْنًا لا فِكاكَ لَهُ
والرَّهْنُ في الحكْم مَجْلوبٌ ومَرْكوبُ
فـالـدّرُّ مِـنْـهُ حَـرامٌ مـا نَـطـيـفُ بـه
والظَّهْرُ منه على الأحْوالِ مرغوبُ

ونحوه:

أَفـيـضُـوا عـلـى عِـزابِـكـم بـنـسـائِـكـم
فـما في كتابِ الله أن يُحْرَمَ الـفَـضْلُ

24 – تحاكُم لوطي ومؤاجر:

قال جراب الدولة: وافق غلامٌ رجلًا إنْ أدخله بدرهمين، وإن فاخَذَهُ بدرهم، فدفع له درهمًا، وأدخله فيه. فتحاكما إلى القاضي، فقال الغلام: أيها القاضي أكْرَيْتُ[1] هذا حمارًا على أنه إنْ ذهب به إلى باب المدينة فعليه درهم، وإنْ أدخله المدينة فدرهمان، فدخل المدينة، ولم يوفني الدرهمين. فقال الرجل: إنّي أتيت بالحمار إلى باب

(1) أكرى: استأجر.

المدينة، ولكنه دخل بغير إذني، فقال القاضي: زن الدرهمين، فخير الأمور أوْسطها. ويقارب ذلك أن الجماز دخل مع غلام، فلما قارب الفراغ، فتح الغلام بين رجليه خوفًا على ثوبه، فقال الجماز: إنَّه كان شِعْرًا حسنًا، ولكن قوافيه مطلقة.

25 – الغلام الصبيح المنظر القبيح المخبر:

مر أبو نواس بغلام خفيف العجز حسن الوجه، فقال:

دُنْياه ما شِئْتَ ولكنَّه مُنافقٌ ليسَتْ له آخرَه

ونحوه لسعيد بن حميد:

ظَبْيُكَ هذا حَسَنٌ وَجْهُهُ
وما سِوى ذاكَ فِمنه يُعابْ
فافْهَمْ كلامي يا أبا عامرٍ
لا يُشْبِهُ العنوانُ ما في الكتابْ

26 – المُفاخذة:

تأوَّل بعض المفسرين قول الله تعالى: إلا اللمم، على المفاخذة. أنشد محمد بن المنكدر قول وضاح:

فلمّا أبَتْ ما زِلْتُ أضرَعُ جاهدًا
وأُخْبرُها ما رَخَّصَ اللهُ في اللَّمَمْ

فقال: إنَّ رضاحًا فقيه مُفْتٍ في نفسه. وأعطى رجلٌ

مؤاجرًا درهمين، فقال: لا تُدْخِلْهُ وضَعْه بين الفخذين. فقال: إنَّ أيري بين الفخذين منذ خمسين سنة، فما معنى إعطاء الدرهمين؟

وقال بعض شيوخ بغداد: إنّي حملت بالبصرة غلامًا إلى دهليزي، فأردتُ أن أدخله فيه، فقال: لا تفعلْ، فإني مَسَحْت على خفّي وأخاف أن ينتقِضَ وضوئي، فعلمت بهذا أنَّ الإتيان بين الفخذين لا يوجب الغسل عليهم. ولأبي نواس:

كَأَنَّ فخذَيْه إذا ضُمَّتا والأيْرُ فيه عَقْدُ عِشرينا

وقال:

وغُلامٍ تَشْرَهُ النَّفْسُ إلى حَلِّ إزاره
بَسَطَتْهُ سَوْرة الكاسِ لنا بَعْدَ ازْوِرارِه
فأطَفْنا بنواحيهِ ولم نَعْرِضْ لدارِه

الفصل الثاني
في الأبنة[١]

1 – المأبون المُتَلَوِّط:

دخل يحيى بن أكثم على المأمون، فرأى عنده غلامًا صبيح الوجه، فقال له المأمون: استَنْطِقْه، وامتَحِنْه. فقال له القاضي: ما الخبرُ؟ فقال له: الخبرُ خَبَران: خَبَر في الأرض أنَّكَ لوطي، وخبر في السماء أنَّكَ مأبون. فقال له المأمون: وأيُّهما أصح؟ قال: خَبَر السماء، فخجل يحيى، وانقطع.

قال شاعر:

لي صاحبٌ زَعَمَ الخبيرُ بأنه
شَبِقُ المُؤَخَّرِ ساكنُ القُدّامِ[2]
يُبْدي منَ الحِمْلان أكلَ رؤوسِها
وَهَواه في أكلِ الكراعِ النامي[3]

(1) الأُبنة: اللِّواط السَّلبيّ. والمأبون: مَنْ يُلاط.
(2) شَبق المؤَخَّر: تشتاق مؤخّرته إلى النكاح. ساكن القُدّام: لا ينتصب قضيبه.
(3) الكُراع: مُسْتَدَقّ الساق. والمعنى أنّه يهوى أن يُنْكح.

قال الصاحب:

ولـوطـيٌّ كـمـا زَعَـمـوا ولـكـنْ هـهـنـا سَـبَـبُ

وقال:

يُـظْـهِـرُ الإنـعـاظَ والـعـا دةُ مِـنْـه أن يـطـاطـي[1]

والـذي يَـشْـهَـدُ يَـدْري مـن يـلـي وَجْـهَ الـبـسـاطِ[2]

وقال:

جمع المالَ صغيرًا باسْتِه ثم أعطاهُ عليها في الكِبَر

2 – الاحتجاج للحلاق:

دخل مطيع على صديق له، فرأى تحته غلامًا آخر، فقال: ما هذا؟ قال: اللذّة المضاعفة.

وقال بعض المخنثين: زعم الأطبّاء أنَّ الطبائع أربع: الصَّفْراء، والسوداء، والبَلْغَم، والدم، وإنّما هي عندي: الأكْل والشُّرب، وأنْ تنيك وأنْ تناك.

وسئل بعضهم عن قول القائل: إذا عَزَّ أخوك فهن، فقال: المعنى: إذا لم يَنم لك فنَمْ له.

قال اليعقوبي:

ولـقَـدْ أكـونُ إذا الـشَّـبـابُ بـمـائِـهِ

طـوعَ الـصِّـبـا وشـفـاءَ كُـلِّ سَـقـامِ

(1) الإنعاظ: انتصاب القضيب. يطاطي: يُطأطئ كي يُنكح.

(2) أي: من يُلاط.

أَيـامَ أمـشـي لـلـهـوى عـرضـيّـةً
وأنـاكُ مِـن خَـلْـفٍ ومِـنْ قُـدّامِ
وأَعِـيـرُ مَـنْ يَـدْنـو إِلـيَّ صَـبـابـةً
وأبـيـتُ بـيـنَ غُـلامـةٍ وغُـلامِ
فَـأنـيـكُـهـا وَأنـيـكُـه ويَـنـيـكـنـي
لا نـرعـوي لـمـلامـةِ الـلُّـوّامِ

وقيل لماجن: ما تقول في خُنثى، لَهُ ما للنساء وما للرجال؟ فقال: يزوَّجُ من خُنْثى ينيكها وتنكيه.

3 - المتبجِّح بالأبنة والمحتجّ لها:

عوتب ابن مكرم على حبّ غلام كان يعرف به، فأهوى بيده إلى خلفه، وقال:

أقِلّوا عـلـيـهـمْ لا أبـا لأبـيـكـم
من اللَّوْمِ أو سُدُّوا المكان الذي سَدّوا

وقيل لرجل: تَنْبَطح مع شَرَفك، ولا تأْنَف؟ فقال: ذوقوا ثم لوموا.

وقيل لبعضهم: أَيَسُرُّكَ أنْ تكونَ شاةً في الجنة؟ فقال: بشَريطة أن أُحْمَلَ كلَّ يومٍ إلى التيوس. وعوتب مأبون، فقال: لولا عِلّة الغرض، وسَبَب الغداء، لما بَالَيْتُ أن لا ينزل عني..

قال ابن المعتز في مأبون اشترى غلامًا:

كـان يَـسْـتَـذْخِـلُ الأَيـورَ حـرامًـا
فـاسْـتَـقَـفَّ الـفـتـى بِـأيْـرٍ حَـلالِ

وانتهى رجل إلى دهليزه، فرأى رجلًا قد امتطى مأبونًا، فقال له: أَتُناكُ في دهليزي؟ وجَعَل يُكَررها. فقال له: إلى كم تكرر ذلك؟ تعال إلى دهليزي، ولك فيه عشرون مرة.

وقيل لمأبون: إنّ ابنك به أُبْنة. فقال: المفتاح لا يخرُجُ من بني شيبة.

4 – المائل إلى ما فيه مُشابهة المَتاع:

قيل لمأبون: لِمَ لَزِمْتَ هذا الغلام؟ قال: إنّ في أيره خمسة أسماء من العروض: الطويل والمديد والبسيط والوافر والكامل.

قيل لمخنَّث: أيُّ الأسماءِ أَحبُّ إليك؟ قال: الزُّبَيْر لاجتماع «زبّ» و «أير» فيه. وقيل: أي الأنبياءِ أحَبُّ إليك؟ قال: لوط. قيل: فأي الفِقْه أحَبُّ إليك؟ قال: بابُ النِّكاح. قيل: فأيُّ النحو؟ قال: باب الفاعل والمفعول.

قال شاعر:

لا يَـعْـرِفُ الـرفـضَ وَأَشْـيـاعَـهُ
ودُبْـرُه يَـدْعـو إلـى الـقـائـمِ

5 – من رأى مفعولاً فاحتج بآبدة:

قال أبو العيناء للمعْتصِم: دخلت على أبي العلاء،

وغلامُه على ظهره، فسألته فقال: إنه يزعم أنَّه احْتَلَم، فأردتُ أنْ أمْتَحنه. فقال المعتصم: قاتَلَكَ الله، فما أقرأ بعدها سورة الممتحنة الا ذكرته؟ وذَكَر بعضهم أنه صعد قَصْر أحمد بن سياه، فرأى شيخًا قد علاه رجل، فأرسل عليهما لبنة، فأصابت ظهر الرجل، فقام وذهب. وقام الشيخ يشد تِكَّتَه ويقول: أَليسَ من الصَّواب أني كنتُ من تحت، فلم تُصِبْني اللّبِنة؟!

6 – المستدعي الفحل إلى نفسه تعريضًا:

كان سكران يبكي ويقول: لو عرفتُ قتلةَ عثمان! فقال له مُخَنَّث: ما كنتَ تَفْعل بهم؟ فقال السكران: كنتُ أنيكهم! فقال المخنث: أنا قتلتُه. فامتطاه وجعل يقول: يا ثارات عثمان! والمخنث يقول من تحته: إنْ كنتَ وليّ الدم، وهذه عقوبتك. فإني أقتلُ كلَّ يوم عثمانًا!

وغضب رجل على مخنَّث، فقال: لأحْمِلن عليك عشرة، فشفعوا إليه حتى سَكن فتنفس المخنث، وقال: لو قضي أمر كان. ومر رجل، فرأى مخَنَّثين، فأراد أنْ يقول: خذوهما، فقال: نيكوهما، ثم قال: اضْربوهما، فقال له أحدهما: سَبَقَت الرحمةُ العذابَ، فلا ترجعْ.

7 – قَبْض المتاع باليد:

دخل عَرابة المخنَّث على رجل، فرأى أيرًا عظيمًا، فقبض عليه، فقال له الرجل: ماذا؟ فقال:

إذا ما رايةٌ رُفعَتْ لمجدٍ

قال آخر:

الأيْرُ لا يَخرجُ من قَبْضَتِه
إلا إذا ما صارَ في فَقْحَتِهِ

وقيل لبعض القضاة: ما تقولُ في القَبْض؟ قال: أصْحابنا فيه على مَذْهبين، والقبضُ أحبُّ إليّ.

8 - المبتلي بالأُبنة من الأكابر:

قيل: أوَّل من ظهرت به الأبنة العزيز صاحب يوسف. وكان أبو جهل مأبونًا، وكان إذا حَزَّ به الداء، ألْقَمَ دُبُره حَجَرًا ويقول: واللات والعزى لا عَلاكَ ذَكَر!

وكان بجالينوس أُبنة، فناكه غلام خلف حائط، فطارت دجاجة، ففزع الغلام وَعَدا، فقال جالينوس: دَعْني والدجاج فَلأُفْنينه، فما زال يصفه للمرض حتى قطع أصله، وصار طعامًا للمرضى إلى يوم التنادي[1].

9 - قبيح مُبْتَلى بالأبنة:

قيل لمأبون: أنتَ مَعَ قُبْحك مَنْ يرغب فيك؟ قال: الحِمار إذا جاعَ أكَلَ المِكْنسة. وقال: عند الخنازير تَنْفُق العَذِرة[2].

(1) يوم التنادي: يوم القيامة.
(2) العذِرة: الوسَخ الذي يُخرجه الإنسان من استه.

وقال مأبون قبيح لرجل كبير الأَيْر: نكني واحدًا واعْدُدْه زكاةَ أيرك.

وقيل: نيك البغاء الكبير زكاةُ الأيْر.

10 – صبيح يمتطيه قبيح:

رأى مخنَّث رجلًا أسود ينيك غلامًا روميًا، فقال: كأنَ أيْرُه في استه كُراعَ[1] عَنْزٍ في صَحْفة أرز. قال بعض شعراء أصبهان فيمن أُتُّهم بغلامٍ أسْود:

وكــأنّــهُ وكَــأَنَّ بــشْــري فَــوْقَــه
قَــصْــرٌ تَــفَــرَّعَــهُ غُــرابٌ أَبْــقَــعُ

11 – المُعيَّر بالأُبنة:

قال أبو العيناء في ابن مكرم: هو إذا غزا، فمطيَّة جنده، وإذا قَفَلَ فظَعينة عَبْده.

قال شاعر:

عَـجِبْتُ مـن أمـر فـظـيـع قـد حَـدَثْ
أبـو تـمـيـم وهـو شـيـخٌ لا حَـدَثْ
قد حبسَ الأَضْلَع في بَيْتِ الحَدَثْ[2]

(1) الكراع: عظيم الساق.
(2) الحدث الأولى بمعنى: «حَصَلَ»، والثانية بمعنى «شابّ»، والثالثة بمعنى «الخلاء»، فبيتُ الخلاء هو المِرْحاض.

وقال:

وعامِلٍ يَعْرِفُ بالقمي وَجَّهَ مَسَّاحًا إلى كَرْمي
حتى إذا ما خِفْتُ من شرِّهِ أرَيْتُهُ الأصْلَعَ مِنْ كمّي
فَحَطَّ عَنْ كُلِّ حِسابٍ له كُلَّ خراجٍ ثابتٍ باسْمي
فَبِتُّ ممنوعًا على رُغْمِه وباتَ مَنْكوحًا على رغمي

وقال:

أراهُ فتى خاخانَ ما تَحْتَ ثوبه
فأعْجَبَه مِقْدارُه فَتَمَدّدَا
إذا وَضعَ الراعي على الأرْض صدرَهُ
فيوشِكُ للمعزى بأنْ تَتَبَدّدَا

وَمرَّ راكب، فقال: أينَ دور آل الربيع؟ فقال له: مُرْ مستقيمًا، فإذا رأيت بَغْلك قد أدلى، فهُناك دورهم.

وقال شاعر:

وبَعَثْتُ غُرْمولي[1] ليخدمَ بَابَهُ
وجَعَلْتُه لِدَواتِه مِخْراكا
ثم اعْتَذَرْتُ وقلتُ: لولا شَيْبتي
لَخَدَمْتُ في دارِ النِّساء أولاكا

12 – المعروف بالأُبْنة تَعْريضًا:

قال ابن المكرم لأبي العيناء: أما ترى غلامي هذا، كم

(1) غُرْمولي: ذَكَري الكبير.

أعطيه وما له شيء؟ قال: نَعَمْ، كَسْبُ الكناسين لا بركة فيه. وقيل: فلان يُخَبِّئ العصا كناية عن الأبنة، وفلان ينام بلا نيام ولا يحمي ظهره.

وكان حفص النحوي معروفًا بالأبنة، فقال يومًا وعنده حماد عجرد: بلغني أن لهم أرماحًا منكوسة. فقال حماد: صَحَّ الحديثُ ما أُخِذَ عن أهله.

وعُرِضَ غلامٌ على رجل، فجعل يبالغ في تقليله، والغلام يَخْجل، فقال له النخاس: لا تَخَفْ إنَّك أنت الأعلى! وقال سليمان لرجل: بلغني أنك مأبون. فقال: مكذوب علي وعليك.

قال شاعر:

إنّ في الكُتّابِ شَيْخًا يَشْتَهي في الجوفِ داخِلْ
يا سليمانَ بن وَهْبِ في حِرِامِّ المُتَغافِلْ

وقال:

أنا أَعْرِفُ للقاضي الذي يَقْضي بسامرّا
غُلامًا اسْمُهُ حسَنٌ يجرُّ قَناتَه جَرّا

وأنشد أبو نعامة عمر الحارثي:

يُبَخّلُ الناسُ بَني مَعْقَل وما بِهِمْ بُخْلٌ ولا لَوْمُ
لكنهم قومٌ إذا ما انتَشَوْا قالوا لِغُلمانِهِمْ: قوموا!

فقال: هذا ينصرف على معان، ولكن أقواها أنه رماهم بالأُبْنة.

13 – المابون العنِّين[1]

قال شاعر:

اسْتُ أبي الحارِثي لوطيةٌ وأَيْرُهُ في حفر عنِّينِ

وانقطع رجل عن امرأة طول ليلته[2]، فقالت المرأة: ما أَحْوَجني إلى رَجُل ينيكني خمسًا، وينيكك عشرًا، فَيكونُ للرجل مثلُ حَظِّ الأُنْثيين! فقال الرجل: هو من الله بريء إنِ انقطع إلّا شهوةً لما تقولين.

14 – التجافي عن المفعول به:

أُتي بمأبون فُعِلَ به إلى بعض الولاة، فقال: ما أَصْنَعُ به، أأُوْكِلُ به رجالًا يحفظون استه؟ فقال المأبون: إذًا، والله أكونُ في عَناء. ورفع بعضهم إلى بعض الولاة، فقال: ما وَلّاني أميرُ المؤمنين حِفْظ الأَسْتاه!

(1) العنِّين: العاجز عن النكاح.
(2) أي: لم يستطع نكاحها.

الفصل الثالث
في التَّخنُّث

1 - افتخار المخنَّثين بصناعتهم واعتذارهم:

قال مخنَّث: نحن خير قوم، إن حدّثنا ضحكتم، وإن غنّينا طربتم، وإن نمنا ركبتم.

تلاقى مخنَّث ولوطي، فقال: أنا خير منك، لأني فوق فأنا أقرب إلى السماء، فقال: أنا أشدّ تواضعًا منك بلصوقي إلى الأرض.

2 - ذم ذي التخنيث:

كان مخنَّث يدخل إلى حجرة النبي، ﷺ، فقال: إنْ ملكَ النبيُّ، ﷺ، الطائفَ، آخذ ابنة نفيلة، تُقبل بأربع وتُدْبر بثمان، فقال له النبي ﷺ: أَوَتعرفُ ذلك، فطرده.

قال شاعر:

إِذا كانَ الفتى حَسَنًا جميلًا وكانَ مُخَنَّثًا فَسُدَ الجمالُ

وقال:

تحلُّوا بآدابِ النِّساءِ وَصَفَّفوا
شعورَهم واسْتَسْمنوا وتخدَّروا

قال الصاحب:

قُلْ لأَبي الفَتْح: أيا قَحْبَةً تَزْني فلا تَطْلُبُ قوادَه[1]
شَبَّهْتَ بي نَفْسَكَ مَن ذا الذي قاسَ ابنَ عبَّادٍ بعباده؟

(1) القوادة: سِمْسارة الزِنى.

الفصل الرابع
في الدَّلْك

1 - النهي عن الدَّلْك والرُّخصة فيه:

قال النبي ﷺ: سَبْعَة لا يَنْظر الله إليهم يوم القيامة، ولا يُزَكِّيهم، ويدخلهم النار مع الداخلين: الناكح يده، والفاعل والمفعول به، والناكح حَليلة جاره، والمدمِن الخمر، والضّارب والديه.

وقد رخَّص بعضُ العلماء لمن اضطر إلى ذلك في سَفَر، فلمسَ متاعه حتى سال منه ما كان يؤذيه، فقال: لا بأس به.

وحكي عن أحد صاحبي أبي حنيفة أبي يوسف أو محمد: لا بأس أن يأخذ المضطر حريرة، فيَمْسَحه بها حتى ينزل.

قال شاعر:

إِذا حَلَلْتَ بأَرْضٍ لا أنيسَ بها
فاجْلِدْ عميرَةَ لا عارٌ ولا حَرَجُ[1]

---

(1) جَلْد عُمَيْرة: الدَّلْك، الاستِمْناء باليد.

وقال:

إذا امْتُحِنْتَ بعُدْمٍ وابْتُليتَ بهِ
فاجلدْ عميرةَ حتى تَنْقَضي المِحَنُ

2 – نوادر في الدَّلْك[1]:

نظرت امرأة أشعب إليه، وهو يجلد عميرة، فعاتبته، فقال: كانت عميرة خيرًا منكِ، فما أَصْنع؟ ودعاها إلى الطعام فقالت: أنا لا آكل مع ضَرَّتي.

ودخلت امرأة مَرْثَد عليه يومًا، وهو يصبّ الماء على رأسه، فقالت: ما هذا؟ فقال: جلدتُ عميرة. ودخل عليها يومًا فوجدها تغتسل، فسألها، فقالت: جَلَدَتْني عميرة. وكان رجل هَجَمَه الحرُّ فاستَند إلى جدار دار، فأَنْعَظ، فجلد عميرة، فأشرفت جارية فرأته، فكتبت إليه رقعة:

يَعزُّ على البيضِ الأوانسِ كالدُّمى
وقوفُك بين البابِ والدارِ تَصْلُجُ[2]
تُقَلِّبُ أَيرًا ليسَ لِلْعَيْرِ مِثْلُه
وَهُنَّ إليهِ مِنْ نسائِك أَحْوَجُ

قال بعضهم: رأيت أعمى يجلد عُمَيرة ويقول: فَدَيْتُكِ يا سُكينة! فأخذتُ خشبة ولَوَّثتها بِعَذرة، ومسَحْتُ بها شاربه، فقال: فَسَوْتِ يا سكينة!

(1) الدَّلْك: الاستِمْناء باليد.
(2) تصلج: تضرب، والمقصود: تضرب (تدلك) قضيبك.

الفصل الخامس

في المُباذلة والدّبيب

1 – المُباذلة[1]:

قال الجماز: لم يبق من العدل إلا المُباذلة.

قال راشد:

إذا ضاقَتِ الأيدي وأعْوَزَ نَقْدها
رأينا ابتياعَ النَّيكِ بالنَّيْكِ أجْملا

قال الجماز:

فَنِكِ المُرْدَ فما مِنْ لَذَّةٍ حَصَلَتْ ما لم تَنِكْهم وتُنَكْ!

2 – المتوسِّط بين مُتَباذِلين:

قال الخبزارزي:

أَتَنْشَطُ للوَصْلِ يا سَيِّدي
فإنَّ الحبيبَ له قَدْ نشَطْ
أُحِبُّ اجتماعَكما في الهوى
عَسَى اللهُ يَصْنَعُ لي في الوَسَطْ

---

(1) المُباذلة: تبادل النكاح.

وله يخاطِب صَبيين:

وتَـعَـلَّـمـا أنّ الـحـذَيّـا حَـقُّ مَـنْ
أضحى وزيرًا في البذالِ وحاكِما[1]

3 – الدَّبيب[2]:

قيل لحمد بن زياد: أنفقتَ على جاريةِ فلان خمسة آلاف دينار، وكان يُمكنكَ أنْ تُحَصِّلها شراءً بألف دينار! فقال: يا أحمقُ، وأينَ شهوة الدَّبيب، ولذّة المسارقة، والانتظار الخفيّ؟ وأيْنَ بَرْدُ الحلالِ وفتورُه من حرارَة الحرام؟ أَلَمْ تَسْمعْ إلى قول أبي نواس:

ألذُّ النَّيْكِ ما كانَ اخْتِلاسًا   بمنْعِ الحِبِّ أو مَنْعِ الرَّقيبِ

وأضاف الفضل بن عتبة رجلًا، فدَبَّ على جارية، فلما تَمَسَّحَ، لدَغَتْه عقرب، فصاح، فقال الفضل:

وداري إذا نـامَ سُـكّـانُـهـا   أقامَ الحدودَ بها العَقْرَبُ[3]
إذا غَفَلَ الناسُ عن دينِهِم   فإنَّ عَقارِبَهم تَغْضَبُ

ودبَّ إنسان على إنسان، فانتبه وفي استه أيره، فقال: ما هذا؟ فقال: والله الذي لا إله إلا هو، ما علمتُ، ولكن من هنا

(1) البذال: تبادل النكاح.
(2) الدَّبيب: الانسلال سِرًّا للنكاح.
(3) الحدود: جمع الحدّ، وهو القصاص الذي تفرضه الشريعة مقابل كلّ جُرْمٍ.

تَمِّم النعمة، واجْعَلها عندي يدًا. ودبَّ رجل إلى الجماز يظنّه أمرد[1]، فانتبه فناوله بزاقًا، وقال: مُرْ في سَفَرِك فستحتاج إلى هذا إذا انقضى بك السَّفَر، يعني انك سَتَنْبَطِح.

(1) أي: حاول رجل الوصول إلى الجمّاز لينكحه، والمشهور أنّ الجمّاز مَشْهور بنكاح الغلمان.

الفصل السادس
في القيادة

1 – النَّهْي عن القِيادة[1] والرُّخْصة فيها:

روي عن النبي ﷺ: يُتاب عن الزاني، ولا يتاب عن القَوّاد. ورُوي في الخبر أنه أُخِذ رجل كان يجمع بين الرجال والنساء، فقال: ما لكم ولمن يَجْمع بين الصديقين فَيُرخي عليهما ستره، وفي بيته استراحة الأحرار وذوي الأقدار، والعرب كانت تسمّي القوادة «أم الحكيم» لأنها تأتي الصعب فتُسَهّله، والقريب فتُبعده.

2 – الحاذق في القيادة:

سَمِع رجل قول عمر بن أبي ربيعة في قَوّادة:

فَبَعَثْنا طَبَّةً عالِمَةً
تَخْلُطُ الجِدَّ مِرارًا بالَّلعِبْ[2]
تَرْفَعُ الصوتَ إذا لانَتْ لها
وتُداري عند ثَورَانِ الغَضَبْ

(1) القيادة: العمل على جمع الذكر والأنثى ليتم النكاح.
(2) طَبَّة: عالمة، خبيرة.

فقال: لو ادَّعت النبوة بهذا الخلق تَسَلم لها. وسمع ذلك ابن أبي عتيق فقال: ما أحْوَجَ الناس إلى خليفة مثلها.

قال شاعر:

فِي فَمِها مِن رُقى إبليسَ مِفْتاحُ

وقال:

لا يَغُرَّنَّكَ في مَجْلِسِه طُولُ السُّكوتِ
وتَسابيحُ أُديرَت في يَدَيْه بخُفُوتِ
إنْ يَشَأْ ألّفَ ضَبًّا حُسْنَ تأليفٍ بحوت
ويقودُ الجملَ الصَّعْبَ بخَيْطِ العَنْكَبوتِ

وقال:

إذا هَوَيْتَ يا أخي عتاده مِنَ الغواني صَعْبَةَ المَقاده
فابْعَثْ لها عَجوزَةً قوادَه كالحَسَنِ البصري أو قَتاده
تلوحُ في جَبْهَتِها سجادَه

وقيل: «هي أقْود من ظُلْمة»[1]. وكانت امرأة قوّادة أوصت إذا هي ماتت أن تُحْرق وتُجْعل في صُرَّة، فَيُذَرّ منها على خِتان الصّبيّ فيلتحم، وعلى أَحْراء[2] الصبيّات، فإنّهن يلهَجْن بالزبّ[3] ما عشن. وقيل: «أقْوَدُ من ليل بهيم»، ومنه:

(1) قيل: هي الظلام، وقيل: هي امرأة اشتهرت بالقيادة.
(2) الأحراء: جمع الحِر، وهو الفَرْج.
(3) أي: يشتهين قضيب الذكر.

الـشَّـمْـسُ نَـمّـامـةٌ والـلَّـيـلُ قَـوّادُ

وقيل لرجل: ما عِنْدك للنساء؟ قال: القيادة عليهن.

وقيل لآخر: ما بقي عندك من آلة الزنا. قال: البُصاق.

3 – نوادر في القيادة:

سَمع أبو الهذيل رجلًا ينشد:

يُـغْـشَـوْنَ حـتـى مـا تَـهُـرُّ كـلابُـهـم
لا يَـسْـأَلـونَ عـن الـسَّـوادِ الـمُـقْـبـلِ

فقال: أوشك أن تكون هذه دار قَوّاد أو خَمّار.

وأخذوا مُخَنَّثًا جَمَعَ بين شريف وشريفة، فخلوهما وحملوا القواد إلى السلطان، فسئل، فقال: هؤلاء وجدوا طائرين في قفص، فخلوا الطائر وحبسوا القفص.

4 – المُعَيَّر بالقيادة:

قيل لرجل: يا قواد. فقال: قدمت على أمك، ليس هذا عذرًا لك.

قال أبو نواس:

كَـلَّ عـن حَـمْـلِـه الـسلاحُ إلى الـحر
بِ فـأَوْصـى الـمُـقـيـمَ أن لا يـقـيـمـا

وقيل لأبي عون: قد بنى المتوكّل بناءين سماهما الشاه

والعروس. فقال: فَرَغَ من حَمْل ذُكْران[1] الناس على الإناث، حتى صار يُنايِكُ بين الأبْنية.

5 – حَظْر الزنا واستباحته:

أمّا الزّنا، فمُجْمَع على تحريمه. وجاء أبو كثير الهذلي إلى الرسول، ﷺ، فسأله أن يحلّ الزنا، فقال: أتحبّ أن يؤتى إليك في حَرَمِك مثل ذلك؟ قال: لا. ثم قال: فادعُ الله لي أن يُذْهِبَ مني الشَّبَق[2]، فدعا له. فقال حسان:

سَألتْ هَذيلٌ رَسولَ اللهِ فاحِشَةً
ضلَّتْ هُذيلٌ بما قالَتْ ولم تُصِبِ
سَألوا نَبيَّهمُ ما كان مُخْزِيَهم
حتى المماتِ، وكانوا غُرَّةَ العَرَبِ

(1) الذّكران: جمع ذَكر.
(2) الشَّبَق: الشهوة الجنسيّة.

الفصل السابع

في السّوْأتين والجِماع(١)

1 - جوازُ ذِكْر السوأتين والجماع، واستِحْباب الكناية عنهما:

قال ﷺ: من تَعَزّى بعَزاء الجاهلية فأعِضّوه بِهَنِ أمه[2]، ولا تُكَنوا. ورأى ابن عباس رجلًا يتظلّف عن ذِكْر السّوأتين، فقال: إن تَصَدَّقَ الطيرُ نَنِكْ لميسا. ودخل في الصلاة يريه أنّ ذِكْر ذلك مِمّا لا يُحرِج.

وقال محمد بن سيرين في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ۝٧٢﴾ [الفرقان: 72]، أي: إذا ذكروا الفروج كَنّوا عنها. وكثُرَ استعمالهم الكنايات في ذِكْره. «هَنٌ» و«ذَكَر» و«سَوْأة». ويقول البغداديون في الكناية «أبو أيوب»، وسَمَّت العربُ فَرْجَ المرأة «أبا أدراس»، وذلك من «الدَّرْس» وهو الحَيْض.

2 - قُوّة الأير على العمل:

سمعتْ أعرابية رجلًا يُنْشد:

---

(1) السّوأة: العضو الجنسيّ. الجِماع: النكاح.
(2) هن أمّه: فَرْجها.

وأَنْـعُـظُ أَحْـيـانًـا فَـيَـنْـفُـذُ جِـلْـدُه
فأَعْذُلُه جَهْدي وما يَنْفَعُ العَذْلُ[1]

فَأُدْخِلُه في جَوْف جاري وجارتي
مُـكَـابَـرَةً مِـنّـي وإِنْ رَغَـمَ الـفَـحْـلُ

فقال: بئس والله جار المُغَيبة أنت! فقال: والتي معها زوجها وأبوها وأخوها.

وأنشد بشار:

عِجْلُ الركوبِ إذا اعتراه نافِضٌ   وإذا أفاقَ فليسَ بالركابِ
فَتَراه بَعْدَ ثلاث عشرةَ قائمًا   مِثْلَ المُؤَذِّنِ شَكَّ يومَ سَحابِ

وقيل: «أنكح من خَوّات»؛ وهو صاحب ذات النحيين. و«أنكح من ابن ألغز»، وهو الذي أَنْعَظَ، فجاء بعَيْر، فاحتكَّ بأيره يظنه جِذْلًا[2]. وقيل: أير كعصا البقّار، ومنه:

يَـحْـمِـلُ أَيْـرًا مِـثْـلَ أَيْـرِ الـبَـغْـلِ

وقال:

يَحْمِلُ أَيْرًا مِثْلَ جُرْدانِ الجمَل
لـو دُسَّ فـي مَـتْـنِ صَـفـاةٍ لَـدَخَـلْ[3]

وقيل: إنَّ جعفر بن يحيى الصيرفي خرج من الدنيا، وما

(1) أنعُظ: ينتصِبُ قضيبي. أعذله: ألومه.
(2) الجِذْل: عود يُنصَب للجِمال الجَرْبى لتحتَكّ به.
(3) جردان الجمل: قضيبه. الصّفاة: الصخرة الصلبة.

نكح امرأة بكلِّ أيره. وقيل: أعظم الأيور أيرُ الفيل، وأصغرها أيرُ الظبي. وكان لابن عمر أربع نسوة وثلاثون جارية، وربما طافَ عليهنّ في ليلة واحدة.

النَّعْظ:

قيل: أَنْعَظُ من بُلْبُلَة الإبريق.

قال حسنويه:

أَنْعَظَ حتَّى كَأَنَّ فَقْحَتَه مجموعةٌ في زيارِ بَيْطارِ[1]
كَأَنَّهُ والأَكُفُّ تَلْمَسُه عُنْقُ ظليمٍ بغَيْرِ مِنْقارِ[2]

وقال سهل بن هارون: ثلاثة يعودون إلى حال المجانين: السَّكْران، والغَضْبان، والغيران. فقال بعض أصحابه: وما تقول في المُنْعَظ؟ فضحك، وقال:

وما شَرُّ الثلاثة أُمَّ عَمْرو (البيت)

3 – تمنّي عِظَم المتاع[3]:

قال أبو سعيد راوية بشار: رأيتُ بشارًا يومًا، وهو يضحك، فقال: تفكَّرت في شيء، ليس على وجه الأرض رجل إلّا يَوَدّ أنْ يكون أيره أكبرَ مما عليه، ولا امرأة إلا تودّ

(1) أنْعَظَ: انتصَبَ. الفقحة: رأس القضيب. الزيار: الحبل. البيطار: الذي يُنْعِل الدوابَّ ويعالجها.
(2) الظليم: ذَكَر النعام.
(3) المتاع: القضيب، ذَكَر الرجل.

أنَّ حِرَها أضيقُ مما هو عليه، ولو أعطي كلٌّ واحد طِلْبته. لبطل التناكح، فمنَعَ سُؤْليهما[1] لطفٌ من الله تعالى.

وحكى المعروف بابنة الجن المخنث: ليس في الأرض رجل الا وهو يتمنى لامرأته أيرَ الحمار! قيل: وكيف ذلك؟ قال: لأنه يتمنى أن يصير أيْره كأير الحمار ينكح به امرأته.

وقال مديني: اللهمّ ارزقني أيرًا سداه عَصَب ولُحْمته قصب[2]، ولا يصيبه تَعَب ولا نَصَب[3]، وينيك من رَجَب إلى رَجَب[4].

وكان بعضُ الكبار يقول: اللهمَّ قَوِّ أيري، فإنَّ به قوام أهلي[5]. وقيل لبعضهم أتحب أن يكون لك أير كبير؟ قال لا! لأنّ منفعته تكون لغيري وثقله عليّ.

4 – استعظام قَدْر الأير:

رأى مُخَنّث خادمًا من بعيد، فظنَّه أمْرد[6]، فلما دنا منه،

---

(1) أي: طلبتهما.
(2) السَّدى من الثوب: ما مُدَّ من خيوطه. واللُّحمة: ما مُدَّ من خيوطه عَرْضًا.
(3) النَّصب: التعب الشديد.
(4) رجب: شهر رجب.
(5) قِوام أهلي: ما يُقيم شأنهم.
(6) أي: غُلام يُنكح.

قال: يا ناقص، هذا صَلَف[1] من له أربعة أيور، وأنت فارغُ السَّراويل.

وسمع مخنث رجلًا يذم ابنه، ويقول: ومع ذلك أير في طول المنارة، فقال: ابنك كلُّه فضيلة وأنت لا تشعر!

ونظر آخر إلى قبيح كبير الأير، فقال: يا شين ما علق عليك هذا الرين[2]. ونظر آخر إلى رجل كبير الأير كثير الشَّعْر، فأخذ يبكي، ويقول: انظروا إلى الخليقة في القطيفة[3]!

5 - مُفاخرة الرجل والمرأة بسَوْأتَيْهما:

قال المتوكّل يومًا لعبادة وزكويه[4]: تسابقا فأيّكُما سبق، فله كذا، فسبقت زكويه. فقال المتوكِّل لعبادة: سَخُنَتْ عينُكَ، تسبقك امرأة! فقال: هي تعدو ببدادين[5]، وأنا أغدو بخُرْجين وعلاوة.

وقالت جارية لمخنَّث: ما أعْظَمَ بليَّتي[6] بك! قال:

---

(1) صَلَف: كبرياء.
(2) الشَّين: العَيْب. الرَّين: الفضيلة.
(3) القطيفة: نبات يُعرف بـ «سالف العروس».
(4) عبادة: غلام مُخَنَّث للمتوكّل. زكوية: اسم جارية.
(5) سخنت عينُك: دعاء عليه. البداد: بِطانة تُحشى وتُجعَل تحت القتب، وقايةً للبعير أن لا يُصيب ظهرهُ القَتَب.
(6) البليّة: المصيبة.

بليتُك في حِرِك أعظمُ. رأت صبية صبيًا كشف لها عن أيره، فقالت: مَنْ طَوَّقَه؟ قال: أبي. قالت: فمن خَرَقه؟ قال: أبي! قالت: فمن عَرَّقه؟ قال: أبي. فكشفت عن حِرِها، وقالت: لَعَنَ الله أبي ما زاد على أنْ شَقَّه، وتركه.

6 – المستَفْتي في سَوْأته عالمًا سخفًا:

سُئل الأحنف: ما بال أَستاء[1] الرجال عليها شعر وأستاء النساء لا شَعْرَ عليها؟ قال: لأنَّ أَستاءَ الرجال حِمى[2]، وأستاء النِّساء مَرْعى.

وسُئل مخنث: ما بال هَنُ المرأة يَنبت أسرعَ من الرجال؟ فقال: لقربه من السماء، ويُسقى من فوقه.

قيل لقطرب: أيهما أسرعُ إلى المباضعة[3]: الأَير أم الحِر؟ فقال:

فوالله ما أدْري وإنّي لَصادِقٌ
أَلْأَيرِ أَدْنى لِلْفُجورِ أم الحِرُ
فَقَدْ جاءَ هذا مُرخيًا من عِنانِه
وأَقْبَلَ هذا فاتحًا فاهُ يَهْدُرُ

(1) الأستاء: جمع است، وهي المُؤَخّرة.
(2) الحِمى: ما يُحمى.
(3) المباضعة: النكاح.

7 – اختيار المرأة أير دون أير:

قالت ابنة الكميت لأمها: أيُّ الأيورِ أَحَبُّ إليك؟ قالت: أير فرس في حرارة قبس، في لين فَنَك[1]، في استدارة فَلَك، في حقو[2] رجل صمك[3].

وقالت جارية: ما شيء أحبُّ إليّ من رجل ينيكني بأيره في حِري، وخُصْيته تدقُّ على باب استي، فتُهَيِّجُ شهوتي.

8 – وَصْف المتاع على سبيل اللغز:

سأل خَلَفٌ الأصمعيّ[4] عن قول الشاعر:

وَلَقَدْ غَدَوْتُ بِمُشْرِقٍ يافوخُهُ
عَسِرُ المَكَرّةِ مَاؤُهُ يَتَدَفَّقُ[5]
مَرِحٌ يَسِيلُ من النَّشاطِ لُعابُه
ويكادُ جلدُ إهابِهِ يَتَمَزَّقُ[6]

فقال: يصف فرسًا، فقال: أرانيكَ الله على مثله[7].

---

(1) الفَنَك: الفَرْو.
(2) الحِقو: الإزار، أو معقد الإزار.
(3) الصَّمك: الغليظ الجافي.
(4) هو خَلَف الأحمر: لغويّ وأديب وراوية. الأصمعيّ: عالِم لغويّ.
(5) اليافوخ: مُلتقى عظم مقدّم الرأس ومُؤخّره. المَكرة: الساق الغليظة.
(6) الإهاب: الغلاف.
(7) أي: أتضرَع إلى الله كي أراك عليه.

ووقف أعرابي يَنْشُد بَكْرًا[1] على جماعة، فقال: من عَرفَ بَكْرًا أحمر في عُنقه علاط[2]، وفي أنفه خِزام[3] يتلوه بكرتان سمراوتان، وإنَّ أقربَ عهدِ العاهد به الليلة؟ فقالت جارية: ما عنيتَ بذلك إلا ما ضَمّه سراويلُك.

وقال مخنث لأعرابي: هل لك في شيء أسفَلَه زَرْع وأعلاه ضَرْع، وليس بباذنجان ولا قرع؟ فقال: على هذا لعنة الله.

9 - وَصْف الحر بالضيق والحرارة:

سئلت بنت الخسّ: أيُّ الأحراح[4] أطيب؟ فقالت: الذي إذا أدخلتِ فيه غَصَّ، وإذا أَخْرَجت منه مصّ. ووصف رجل امرأة، فقال: أحرّ من الحَمّام، وأمصُّ من الحجّام[5].

قالت امرأة:

إنَّ حِري أَضْيَقُ مِن تِسْعين
يَمُصُّ مَصَّ الحاجمِ المكينِ[6]

(1) البكْر: الفتيّ من الإبل. ونَشَدَه: طَلَبه بعد ضياعه.
(2) العلاط: علامة في عُنق الجمل.
(3) الخزام: حلقة من شَعر تُجعَل في أنف الجمل، ويُربط فيها الزمام.
(4) الأحراح: جمع حِر، وهو فَرْج المرأة.
(5) الحَجّام: من يُداوي بالمحجمة، وهي آلة كالكأس توضع على جسم المريض، فتجذب الدم.
(6) المكين: المُتمكّن في صنعته.

وقال ابن الرومي يصف سوداء:

لـهـا حِـرٌ تـسْـتَـعـيـرُ وَقْـدَتَـه مِنْ قَلْبِ صَبٌّ وصَدْرِ مُخْتَنِقِ
يزدادُ ضيقًا على المِراسِ كما تَزْدادُ ضيقًا أنشوطةُ الوَهَقِ(1)

أخذه من قول النابغة:

وإذا لَـمَـسْـتَ لـمـسْـتَ أجْثَمَ جاثـمًا
مُـتَـحَـيّـزًا بـمـكـانـهِ مِـلءَ الـيـدِ(2)
وإذا طَعَنْتَ طَعَنْتَ في مُسْتَهْدَفٍ
رابي الـمَجَسَّةِ بالعَبيرِ مُقَرْمَدِ(3)
وإذا نَزَعْتَ نَزَعْتَ عَنْ مُسْتَحْصِفٍ
نـزعَ الـحزوَّرِ بـالـرشـاءِ الـمُـحْـصَـدِ(4)

---

(1) الأنشوطة: العقدة. الوهق: الحَبْل المفتول.
(2) الأجْثَم: العريض في ارتفاع. الجاثم: الذي اتَّسَع موضعُه وتمكَّن. مُتَحَيِّزًا بمكانه: جاز ما حوله وبرز.
(3) المستهدَف: المرتفع. رابي المجسَّة: مرتفع موضع الجَسّ. العبير: الزعْفران. مُقَرْمَد: مَطلي.
(4) المُسْتَحْصَف: الشديد الضِّيّق، والقليل البَلل. الحزَوَّر: الغلام القويّ. المُحْصَد: الشَّديد الفَتْل.

الفصل الثامن

النّساءُ والنكاح

1 - الواسعة الباردة:

سئل عمر بن عثمان عن جارية اشتراها فقال: فيها خَصْلتان من الجنة: البَرْد والسَّعة.

قال الناجم:

يــشْــبــهُ عــنــدي بَــرْبَــخًــا مــركــبًــا فــي مَــخْــرَجِ[1]

وقال رجل لجارية: ما أوسَعَ حِرَكِ؟ فقالت: فَدَيتُ من كان يملأه، ثم قالت:

وقـالَ لـمَّـا خـلـوْنـا أَنْـتِ واسـعـةٌ
وذاكَ مِـنْ خـجَـلٍ مـنـي تَـغَـشَّـاهُ
فـقُـلْـتُ لـمَّـا أعـادَ الـقـولَ ثـانـيـةً:
أنـتَ الـفِـداءُ لـمنْ قـد كـانَ يَـمْـلاهُ

وقال ماجن لجارية: لَأنيكَنَّك بأيْر مثل صَوْمعة حُصين. فقالت: إذًا واللهِ أُمَكّنُك من حِرٍ مثل صحراء نجد: ثم قالت تَفْتَخر بحرها:

---

(1) البربخ: الأنبوب، القَسْطل.

تَـدُلُّ بـطـولِ الأيـرِ مِـنْـك وعَـرْضِـه
ولي كَعْثَبٌ أُخفيكَ في شَطْرِ بعضِه[1]

ولـو أنَّ عـوجًـا فـوقَ فـيـلٍ فـأقـبـلا
إلـيـه لـمـرَّ الـفـيـلُ فـيـهِ بـرَكْـضِـه[2]

وقال أبو زيد الكتاف: بقيت زمانًا لا أجد امرأة تستوعب ما عندي، فظفرت بواحدة، فجَعَلْت أُدخله شيئًا فشيئًا حتى أوعَبْتُه، ثم قلت: أأُخرجه؟ فقالت: سقطت بعوضة على نخلة، فلما أن أرادت الطيران، قالت: استَمْسكي لأطير، فقالت النخلة: ما شعرت بوقوعك، فكيف أشعر بطيرانك؟

قال الشاعر:

ذهـبَـتْ واللهِ نَـفْـسـي فـيـكَ يـا أحـمـقُ فِـكـرا
إنَّـمـا طـولُـكَ فِـتْـرٌ كـيـفَ تـسْـتَـوْعِـبُ شِـبْـرا؟

وقالت امرأة لرجل جامعها وأبطأ الفراغ: أفرغْ، فقد ضاق قلبي. فقال: لو ضاقَ حِرُكِ، لكنْتُ أفرغت منذ زمان!

ورأى رجلٌ رجلًا يبول بأير حمار، فقال له: كيف تحمل هذا الأَير؟ فقال: أكبير هو؟ قال: نعم، قال: إنَّ امرأتي تَسْتَصْغره.

2 - اغتلام المرأة بغيبة الرجل:

خرج عمر بن الخطاب ﷺ ليلة يطوف بالمدينة، فَمَرَّ بامرأة من نساء نَجْد تقول:

(1) الكَعْثَب: العضو التناسليّ للمرأة.
(2) عوج: هو عوج بن عوق، رجل ذُكِر من عِظم خَلْقَه شناعة.

تَطاوَلَ هذا الليلُ تَسْري كواكبُه
وأَرَّقَني أَنْ لا خَليلَ أُلاعبُه
فواللهِ لولا اللهُ والعارُ بَعْدهُ
لحرِّكَ مِن هذا السَّريرِ جوانِبُه

ثم تنفَّسَتْ وقالت: هان على ابن الخطاب وحشتي في بيتي وغيبة زوجي. فلما أصبَحَ، بعث إليها نفقة وكتب إلى عامله برد زوجها، وسأل ابنته حفصة: ما قَدْرُ ما تصبر المرأة؟ قالت: أربعة أشهر.

3 – المتعرِّض للنكاح تعريضًا صريحًا:

كانت رقاش بنت عمرو بن الصلت عند كعب بن مالك، فقال لها يومًا: اخلعي دِرْعَك[1]؛ فقالت: خَلْع الدرع بيد الزوج. فقال لها: تجرَّدي، فقالت التَّجَرُّد لغير النكاح مُثْلة[2]. وقال رجل لجاريته: نأكلُ ثم ننيك، فقالت: بل ننيكُ ثم نأكل. فاستَمْلَح ذلك منها. وكتبت امرأة إلى صديقها:

عَجِّلْ فَقَدْ أمكنَ الزمانُ ويادِرِ الوَصْلَ يا جبانُ
بادِرْ فإنَّ الزمانَ غِرٌّ مِنْ قَبْلِ أن يَفْطنَ الزمانُ

ونَتَفَتْ امرأةٌ[3]، وكتبت إلى صديقها:

---

(1) الدرع: القميص.
(2) مُثلة: عُقوبة وتنكيل.
(3) أي: أزالت الشعر الذي قربَ فرْجها.

فديتُكَ سهَّلتُ السَّبيلَ الذي اشتكى
جَوادُك فيه للحفا مِن خُشَونَتِه
فإنْ كُنتَ تهوى أن تزورَ جنابَنا
فلا تُبْطِ عنا فالهِلالُ ابْنُ ليلتِه[1]

وقالت جارية ابن سيرين له يومًا: كُنْ، وقَدِّم النون. فقال: الساعة.

وبعث هشام إلى عبدة بنت عبد الله بن معاوية، وكانت غضبى، فلم تُجبه، فجاءت جارية له، فكشفت جانب ستره، وقالت: ﴿أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ۝٥ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ۝٦ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ ۝٨ وَهُوَ يَخْشَىٰ ۝٩ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ۝١٠﴾ [عبس: 5–10]؛ فاستحسن ذلك ودعاها.

وكان رجل يعشق جارية، فاجتمع بها ليلة، فجعل يعاتبها، فقالت: يا جاهلُ، دعِ العتاب للكتاب واجعل قميصي مخنقتي.

وقال رجل لجارية: ما اسمك؟ قالت: أُناك! قال: مِنْ خَلْف أم من قُدَام، حلال أم حرام؟ فقالت: كيف شئتَ كما شئت.

وقال أبو العيناء: اشتريت جارية، فقعدتُ يومًا بجنبي، فجعلت أُقبّلها وأترشّفها لا أزيد على ذلك، فقالت: أتحفظ لأبي نواس:

---

(1) لا تُبطِ: لا تُبطئ.

حَـدَّثَـنـا الأَشْـيـاخُ فـيـمـا رَوَوْا
أبـو زيـادٍ شَـيْـخُـنـا عَـنْ شـريـكْ:
لا يَـشْـتَـفـي الـعـاشـقُ مـمـا بِـهِ
بـالـضَّـم والـتـقـبـيـلِ حتى ينيكْ!

وكان للرشيد مائتا جارية تبلغ النوبة إلى كل جارية في مائتي ليلة، فصعد ليلة، فإذا جارية تغني:

ألا يـا دارُ كَـمْ تـحـو ين مِنْ كُسٍّ ومنْ غُـلـمَـهْ[1]
أأيـرٌ واحَـدٌ يَـشْـفـي تـراهُ مـائـتـي حـرمَـهْ
مـتـى يَـصْـلُـحُ طَـيّـانٌ ضَـعـيـفٌ مِـائـتـي ثَـلْـمَـهْ

فاستدعاها واستعاد أبياتها، وقال: نزيد في زيارتك؟ فقالت: لا أريد، أكانت كما قال أبو حكيمة:

أَتـتْ بـجـرابِـهـا تَـكْـتـالُ فـيـه فقامَتْ وهي فـارِغـةُ الـجِـرابِ

فقال: لا، بلْ نردُّ الجرابَ فارغًا، وقامَ فواقَعَها[2]، وقال لها: يا لَخْناء[3]، جعلتِني طيانًا ضعيفًا. فقالت: لو لم أجعلك هكذا، لم آكل هذا الرغيف على هذا الجوع الصادق.

واستعرض رجل جارية، فقال لها: أتُحْسنين أن تضربي بالعود؟ فقالت: بلْ أحِبّ أنْ يضربني العود!

(1) الغُلْمة: شِدّة الشهوة الجنسية.
(2) واقعها: نكَحها.
(3) اللّخْناء: الكريهة الرائحة.

وقالت امرأة لزوجها: اشترِ لي خُفًّا. فقال: أنيكك فَرْدًا. فقالت: هذا الخف يَكْفي هذه السنة.

4 – اختيار المرأة الرجل القويّ على النكاح:

استعرض غلام وضيء جارية نفاشة، فعلمت الجارية أنه يُدلّ بحسنه، فقالت له: إن كنت يوسف الحسن وليس معك أَيْر ذو عروق صلبة وهامة رحبة، يدخل غضبان ويخرج سكران، لم أعدك إلا شيطانًا مريدًا أو قردًا عنيدًا.

وقيل لبصرية: أيُّ الرجال تشتهين؟ فقالت: لا أدري، غير أني أعلم أنَّ الأوّل داء، والثاني دواء، والثالث شفاء، ومن رَبَّعَ، فنَفْسي له الفداء.

5 – شكر المرأة لمن بالغ في مباضعتها:

قالت امرأة: ناكني فلان نَيْكًا كأنه يطلب في حِري كنزًا من كنوز الجاهلية. كانت امرأة تبكي على قبر، فقيل لها: ما كان لك؟ قالت: زوجي، وكان، والله، يجمع بين الجناح والساق، ويهزُّ هزّ الصارم للأعناق، وقد كَذَبَتْك امرأة تبكي لغير ما أخبرتك.

وقيل: تزوَّج رجل بامرأة، فجعل يُقبِّلها ويشمّها ويُلاعبها، فقالت:

ليس بهذا أمرَتْني أُمّي
والله لا تمسكُني بضمّي

ولا بـــتَــقْــبــيـــلٍ ولا بـــشَـــمٍّ

إلا بِـــزَغْــزاعٍ[1] يُـــســـلّـــي هـــمِّـــي

لـــمـــثـــلِ هـــذا وَلَـــدَتْـــنـــي أمّـــي

6 – اختيار المرأة نوعًا من الجماع دون نوع:

اجتمع بناتُ حيٍّ المدنيّة[2] عندها، فقالت للكبرى: كيف تحبين أن يأخذكِ زوجك؟ فقالت: أنْ يَقْدُمَ من سَفَر، فيدخل الحمام، ثم يأتيه زواره المسلّمون عليه، فإذا فرغ، أغلق الباب، وارخى الستر، فحينئذ أتى ما أرومه[3]، فقالت لها: اسكتي، فما صنعتِ شيئًا.

فقالت الوسطى: أنْ يقدمَ من سفر، فيأتيه زوّاره، فإذا جاء الليل، تَطيبْت لهُ، وتَهَيّأت، ثم أخذني على ذلك، فقالت: ما صنعتِ شيئًا.

فقالت الصغرى: أنْ يقدُمَ من سفر، وكان قد دخل الحمام وانطلى، ثم قدم وقد شَوّل، فيدخل عليّ، ويغلق الباب، ويرْخي الستر، فيدخل أيْره في حري، ولسانه في فمي، وإصبعه في استي، فينيكني في ثلاثة مواضع. فقالت: اسكتي، فأمُّكِ الساعة تبول!

(1) يقصد: القضيب.
(2) حيّ المدنيّة: امرأة اشتهرت بشهوتها للنكاح.
(3) أرومه: أريده.

7 - الراغب عن مُتَعَرِّضة للنكاح:

قال أبو حكيمة:

وضاحِكَةٍ إليَّ مِنَ النِّقابِ
تُلاحِظُني بطرفٍ مُسْترابِ[1]
كَشَفْتُ قناعَها فإذا عجوزٌ
مُسَوَّدةُ المفارقِ بالخِضاب
فما زالتْ تَجَمّشُني[2] طويلًا
وتأْخُذُ في أحاديثِ التصابي
تحاولُ أنْ تُقيمَ أبا زيادٍ[3]
ودونَ قيامِه شَيْبُ الغرابِ
فقلت لها: حَلَلْتِ بشَرِّ وادٍ
كريهِ المُجْتَنى قَخطِ الجَنابِ
متى تُشفى العجوزُ إذا استناكَتْ
بأيْرٍ لا يقومُ على الشّبابِ؟

وله:

دعاني إلى ما يَسْتَحِلُّ ابنُ أَكْثَمٍ
وقد يَسْتَحِلُّ المرءُ غيرَ حلالِ

---

(1) النقاب: غطاء لوجه المرأة.
(2) تَجمّشُني: تغازلني وتلاعبني.
(3) أبو زياد: كنية القضيب.

ولـو قـامَ لـم أُسْـعِـفْـه فـيـمـا أرادهُ
أَحَــقُّ بـأيـري مِـنْـه أمُّ عـيـالـي

وقال ابن حجاج:

غـطَّـتِ الـبَـظْـراءُ[1] لـمَّـا قـد رأتْ مـفـتـاحَ ديـري
وَرَجَـتْ مِـنـي خـيـرًا قـلـت: لا تـرجـيـنَ خـيـري
أَبْـعِـدي عـنـي وهـذا فـافْـعـلـيـه مَـعَ غـيـري
أنـتِ فـي دعـوةِ اذنـي لَـسْـتِ فـي دَعْـوةِ أيـري

8 – إرضاء المرأة بالخلوة معها:

وقع بين رجل وامرأته خصومة، فغضبت، فكابدها حتى رضيتْ، وقالت: خزاك الله، فقد جئتني بشفيع لا أستطيع ردّه!

ومرّ الحجاج متنكّرًا، فرأته امرأة، فقالت: الأميرُ، وربِّ الكعبة! قال: فمنْ أعلمكِ أنّي الأمير؟ قالت شمائِلك؟ قال: هل عندك مِنْ قِرى[2]: قالت: نَعَمَ، الخبز الشّعير، والماء النمير! فأكل وشرب، ثم قال: هل لك أن تصحبيني، فتُصَلحي بيني وبين امرأتي؟ قالت: هل عندك من جِماع[3]؟ قال: نعم؛ قالت: فهو يصلح بينكما إذًا.

(1) البَظْراء: الكبيرة البَظَر (الفرج).
(2) القرى: طعام الضيوف.
(3) الجماع: النكاح.

9 - حَمْد إفحاش الجِماع ونحوه:

قال ابن سيرين: ألذُّ الجِماع أفْحَشُه. وقال الأحنف: إن أردتم الحظوة عند النساء، فأفْحِشوا النكاح، وأحْسِنوا الخلق. وقال رجل للشعبي: ما تقول في امرأة تقول لزوجها إذا وطئها: قَتَلْتني أوجَعْتني؟ فقال: يقتلها بذلك، ودِيَتُها[1] في عنقي.

وقدَّم رجل امرأته إلى أمير المؤمنين ﷺ، وقال: إنها مجنونة، إذا جامَعْتُها، غُشِي عليها. فقال: أحسِنْ إليها، فما أنتَ لها بأهْل.

وقيل: موطنان يذهب فيهما العقل: المباشَرة[2] والمسابقة.

10 - الأسباب المقوِّية للجماع من ملاعبة المحبوب:

قال الحسن: أكْثروا من مُداعبة النساء، ولا تكونوا كالبهيمة التي يطرقها الفحل بَغْتَة، والمداعبة للشهوة كالرعد والبرق للمطر. القبلة بريدُ النَّيْك.

قال شاعر:

إنّما القبلةُ عنوانُ الصِّله

---

(1) الدِّية: ما يُدْفَع ثمنًا للمقتول.
(2) المباشرة: النكاح.

وطلب رجل من امرأته، فقالت: الإيناس قبل الإبساس[1].

11 – كراهتها الاعتزال[2]:

كرِه الفقهاء الاعتزال عن المرأة إلا برضاها، وقال رجل لزانية: ما تقولين في الاعتزال؟ قالت: بلغني أنه مكروه. قال: أوَلَمْ يَبْلغك أنَّ الزنا حرام؟

وكانت ليوسف بن عمر جارية تصحبه في السفر والحضر، وكانت يومًا قائمة على رأسه، فورد عليه كتاب، فتغير وجهه، فقالت الجارية: عُزِلْتَ؟ قال: كيف علمتِ ذلك؟ قالت: لأن وجهك قد تغير من غير حَذَر ولا سَهَر، ولكن استَجَزْت عزلك عني كل يوم، وهذا طعمه عنك مرة واحدة.

12 – مَيْلها إلى الاعتزال:

قال بعضهم: دخل قوم من الأعراب البصرة لجذب أصابهم، فرأيتُ جارية فخدَعْتها، وأدخلتها دهليزي، فلما وطئتها، قالت: نَحِّ عَنّي نزْلَتَك[3]، لئلّا تلحقني جنينًا.

(1) الإيناس: المؤانسة والملاطفة من «بَسَّ بالناقة: صَوّتَ لها مُتلطِّفًا بقوله: بسّ بسّ». الإبساس: الشوق السَّهْل. وهذا القول مَثَل يُضرب في المداراة عند الطلب.
(2) الاعتزال: عَدَمُ إنزال المني في فَرْج المرأة.
(3) أي: منيّك.

وقال بعضهم: اشتريت جارية فوطئتها، فجعلت تروم التنحّي، فأكْرَهْتها، فقالت: أردت أن لا يأتيك أربع أكارع تُضَيِّع مالَكَ، فأما وقد أبيت، فشأنك وما تريد.

الفصل التاسع

إتيان المرأة عن دُبُرها

1 – الرُّخْصة في إتيان المرأة في دُبُرها:

استدل مالك في ذلك بقوله تعالى: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ [البقرة: 223]. وقالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: إذا حاضَتِ المرأة حُرِمَ الجُحْران، فدلّ على أنهما كانا حلالًا قبل الحيض. وقال بعض أهل اللغة: الجُحْران، بالضمّ، الفرج.

2 – تحريم إتيانها في دُبْرها:

نهى النبي ﷺ عن إتيانهن في محاشهنّ[1]. وسئل: في أيِّ الجزرتين؟ فقال: أما في قُبُلها[2] فنعم، وأما في دُبُرها فلا، إن الله لا يستحي من الحق، لا تأتوا النساء في أدبارهِنَّ.

---

(1) المحاشّ: جمع مَحَش، وهو الاست.

(2) القُبُل: الفَرَج.

3 – النوادر في إتيانها في ذلك الموضع:

قال مُزَبِّد[1] لامرأته: دعيني آتيك في استك، فقالت: لا أجعل استي ضَرَّةً لحري، مع قرب ما بينهما.

وسئل أبو حفص عن إتيان المرأة في دبرها، فقال: إن الله يقول: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة: 223]، والاست لها مزرعة، من حَلَّت له القرية حَلَّت له المزرعة.

قال همام القاضي:

وَمَذْعورةٍ جاءَتْ على غيرِ مَوْعِدٍ
تَقَنَّصْتُها والنَّجْمُ قد كادَ يَطْلُعُ
فَقُلْتُ لها لما اسْتَمَرَّ حديثُها
ونَفْسي إلى أشياءَ مِنها تطلَّعُ:
أبيني لنا هَلْ تؤمنينَ بمالكٍ
فإنِّي بحُبِّ المالكيةِ مولَعُ[2]
فقالتْ: نَعَمْ، إني أدينُ بدينهِ
وَمَذْهَبُهُ عدلٌ لديَّ ومَقْنَعُ
فبتنا إلى الإصباحِ نَدْعو لمالكٍ
ونُؤْثِرُ فِتياهُ احتسابًا ونَتْبَعُ

(1) مزبّد: رجل مشهور باللّواط.
(2) يُشير إلى مذهب مالك في إباحة إتيان المرأة من دبرها.

وحاضت امرأةُ أعرابي، فتَعرّض لاستها، وقال: قد يُؤخَذَ الجارُ بذنبِ الجار.

وقال ابن الحجاج:

حاضَتْ وقد كانَتْ لها مُدّةٌ
طويلةٌ عندَ استِها طائِلَه
ونَبْتُ في الحالِ على سَرْمِها[1]
وديَةُ النَّيْكِ على العاقِلَه

رفعت امرأة قصة إلى القاضي تدّعي أن زوجها يأتيها في دُبْرها، فسأله، فقال: نعم، أنيكها في دبرها، وهو مذهبي، ومذهب مالك! فخجل القاضي.

ورفَعَ رجل إلى ابن سيمجور قصة، وكان يتولى النظر بنفسه بين الرعية، وكان في القصة: ابنتي تحت فلان التركي وهو يسومها النيك في دبرها. وكان الزوجُ غلامًا له، فقال: إنّي حملت من تركستان إلى الطران فناكوني في استي، ثم إلى بخارى ثم إلى هراة وفي كل مكان ينيكونني في استي، ثم حُملت إليك فكنت تنيكني في استي، فما علمت أن ذلك محظور! فخجل ابن سيمجور.

4 – شكاية المرأة كثرة جماع زوجها:

تزوج مُزَبِّد مولاةً لأبي المثنى الخزاعي، فجاءت إلى أبي

(1) السرم: الاست.

المثنى، فشكت إليه كثرة جماعه، فلقيه أبو المثنى فعاتبه، فقال له مزبد: كنْ بيني وبينها، كفّ عني ضرسها أكفّ أيري! أتراني أعلف، ولا أركب؟

ورفعت امرأة زوجها إلى القاضي تشكو كثرة جِماعه، فقارَّه[1] القاضي على عشرة كل ليلة، فقال: أيها القاضي، سلها تُسَلِّفني متى شئت، فأجابه إلى ذلك، فعادت المرأة بعد ثلاث، فقالت: أيها القاضي لا صَبْرَ لي عليه، فقد استلف في ثلاث لخمس!

(1) قارّه: وافقه.

الفصل العاشر

في العَجْز الجنسيّ

1 - شكاية المرأة عنّة زوجها[1]:

رفعت امرأة زوجها إلى القاضي وقالت: بعلي هذا ليس يضاجعني، فقال الرجل: صدقَتْ، ولكني مؤاخَذ عنها. فقال القاضي: الحكم فيه أن تُؤَخِّر سنة، فقال: الحكم أحق أن يتبع. فلما خرجت إذا هي بمخَنَّث. فقال لها: أما تستحين أن تقولي للقاضي ليس ينيكني! فقالت: إن شيئًا نَقَلَكَ من طبع الرجال إلى طبع النساء حتى عفرت لحيتك في التراب حقيق أن لا يستحى منه.

وقدَّمَتْ امرأة زوجها إلى القاضي وقالت: إنّ زوجي ليس يضاجعني. فقال الزوج: إنّي عِنّين[2]! فقالت المرأة: هو يكذب. فقال القاضي: ناولْني أيْرَك حتى أمتحنك! فتناول أيْرَه يُمَرِّسه[3]، وكان القاضي قبيحًا، فلم يقم أيره، فقالت

---

(1) أي عجزه عن النكاح.

(2) عنّين: عاجز عن النكاح.

(3) يمرّسه: يدلكه.

للقاضي: لو رآك ملك الموت مُنْعَظًا[1] لاسترخى، ادفَعه إلى غلامك هذا، وكان للقاضي غلام صبيح[2]، فدفعه إليه، فانتشر[3] سريعًا، فقالت: أعْطِ القوس باريها[4]. فقال القاضي: مُرْ يا كَشْحان، ونِك امرأتك، ولا تطمع في غلمان القضاة!

وقال المهدي لجارية لَه: أنتِ أوردقُ[5] من أتانٍ عاقر: قالتْ: إذا رزم الفحل[6] ودقت الحجَرُ، تَعَرّض بأنّه مقصّر في الباه فخجل.

وعشق رجل امرأة فزارية، فلما صارت عنده، ضعف عنها، فأخذ يمر به طولًا وعرضًا على حرِها، وقال لها: أَلَكِ زوج؟ فقالت: يا ابن اللخناء[7]، لو كان لي زوج، لم أدعك تتخذ حِري طنبورًا تضرب عليه بمضرابٍ مُنْكَسِر.

2 – المتعذّر من عجزه عن المطاعنة:

دخل ابن شبابة إلى امرأة، وخرج سريعًا، فقال له صاحبه: فأومأ بيده إلى أيره، وقال:

---

(1) منعظًا: منتصب القضيب.
(2) صبيح: جميل.
(3) فانتشر: فانتصب.
(4) هذا القول مَثل يُضرب لإعطاء العمل لمن يُتْقنه.
(5) الودَق: الشهوة إلى الجنس.
(6) رزم الفحل: كان لا يستطيع القيام من ضعفه.
(7) اللخناء: المرأة الكريهة الرائحة.

شُمسُ العَداوةِ حَتّى يُستَقادُ لهم
وأَعْظَمُ الناسِ أَحلامًا إِذا قَدروا

وقال:

أيري عليَّ مَعَ الزما نِ فَمَنْ أَذُمُّ ومَنْ أَلومُ؟

وقال هارون لعنان جارية الناطفي، وقد قَبَّلها، ولم ينتشر عليه:

أقولُ وقَدْ حاوَلْتُ تقبيلَ خَدِّها
وبي رِعْدةٌ من حبِّها ليسَ تَسْكُنُ:
فديتُكِ إِني أَشْجَعُ الناسِ كلِّهم
لدى الحربِ إِلا أَنني عَنْكِ أجبنُ!

واستهدفت امرأة لرجل شيخ، فأبطأ عليه الانتشار، فعاتَبَتْه، فقال: أنتِ تَفْتَحين بيتًا، وأنا أَنْشُر ميتًا!

وقعد أعرابي بين فخذ امرأة، فلم ينتشر. فقالت له: قمْ يا خائب! فقال: الخائب من فتح جرابه ولم يَكْتَلْ[1]، ومن هذا أخذ الشاعر قوله:

أَتَتْ بِجِرابِها تَكْتالُ فيه فقامَتْ وهي فارغةُ الجِرابِ

3 - تعيير العاجز عن الافتضاض:

كَتَبَ أبو العيناء إلى ابن مكرم: العَجَبُ لكم أَنَّكم تُناكون ولا تنيكون! كيف غَرَرْتم الحرائر، واستهديتم المهائر،

---

(1) الجراب: مكيال. لم يكتَلْ: لم يأخذ بغيته.

وعَلامَ قدَّمْتم المهور، وأنتم تحتاجون إلى الذكور، ولمَ أظهرتم حُبَّ النساء، وبكم عرق النساء وكيف دعيتم يوم الروع الطعان، وأنتم تخرون للاذقان؟ فأنتم كما قال الشاعر:

فَلَسْنا على الأَقْدامِ تَدْمى كلوُمنا
ولكنْ على أعقابِنا تَقْطُر الدِّما[1]

نساؤكم عند جيرانكم، ورجالكم تحت غلمانكم، فيا بؤسًا للعروس وإزارُها لم يحلل وشعورها لم تَبْلل.

وقال أبو علي البصير:

رِدِ ابنةَ القومِ أو فاطْلُبْ لها ذَكَرًا
يكفيكَ مِنْ شأنها بَعْضُ الذي عَسُرا
فَقَدْ تأبّوكَ حتى لا أناةَ بهم
وجَمْجَمُوا الأَمْرَ حتى شاعَ واشْتَهرا
قالَتْ: يُقَدِّمُ قَبْلَ الأيرِ إصْبَعَه
متى تعاطى بكَفَّيهِ حِرًا عقَرَا

وعجز رجل عن امرأته ليلة العرس، فقالت:

تَبيتُ المنايا حائِراتٍ عنِ الهُدى
إذا ما المطايا لم تجِدْ مَنْ يُقيمُها

(1) الكلوم: الجروح.

4 - اغتباط من تقوى على الجماع:

كان سعيد بن المسيب يقول: اللهمَ قَوِّ أيري، ففيه قوام أهلي[1]، وقَوِّ سني ففيه قِوام بدني!

وقال أبو مهدية لأبي عمر: ولا يزال المرء بخير ما اشتد أيْره وضرسه.

وقال رجل لابن شعيب: إني إذا دخلت في الصلاة، انتشرَ عليّ[2]. فقال: طوبى لكَ، فإني أتمنى انتشاره في الفراش!

5 - الشاكي ضعفه عن الجماع:

قيل لأبي مهدية: ما عندك من الجماع؟ قال: ما يُهَيِّج شهوتها، ويُنْقص عِفَّتها، ويستدعي بغْضتها.

وقيل لآخر، فقال: إنْ منِعتْ غضبَتْ، وإن تُركَتْ عجزت.

وقال: يمتد ولا يشتد، وإذا أكْرَهْتَه يرتَد.

وقيل لمدني: كيف حالك؟ فقال: أيري إذا فَقَدَ قام، وإذا وَجَد نام.

لــيَ أيــرٌ أراحَــنــي اللهُ مِــنْــه
صــار هــمِّــي بـه عَـريـضًـا طـويـلًا

---

(1) أي: سَنَدهم، وأساس معيشتهم.
(2) أي: انتصب.

نـامَ إذْ جـاءَهُ الـحـبـيـبُ كِـيـادًا
ولَـعَـهْـدي بـه يَـنـيـكُ الـرَّسـولا[1]

6 – المستحسن لعجزه:

سئل شيخ عن حاله، فقال: ذهب مني الأَطْيبان: السِّنُ والأير، وبقي الأَرْطَبان: الضِّراط والسُّعال.

وقيل لأبي عبد الله المنتوف: ما بقي عندك من آلة الباه[2]؟ قال: البُزاق.

وقال ابن أبي البغل لقاضي أصبهان: هل في البيت صلاة؟ قال: أنا في البيت أصلي منذ سنين، وأشار إلى مَتاعه[3]. وقال أبو حكيمة من رثائه لأيره مما لم يُسْبق إليه:

أَيَحْسُدُني إبليسُ داءين أصبحا
بـرأسـي وجِـسْـمـي دُمَّـلًا وزُكـامـا؟
فَـلَـيْـتَـهُـمَـا كـانـا بِـهِ وأزيـدُه
زَمـانَـة أيْـرٍ لا يَـطـيـقُ قِـيـامـا[4]

(1) كيادًا: خُبْثًا ونكايةً.
(2) الباه: النكاح.
(3) متاعه: قضيبه.
(4) الزمانة: العاهة، المرَض.

إذا انتبَهتْ للنَيْكِ أزبابُ مَعْشرٍ
تَوَسَّدَ إِحْدى خَصْيَتَيْه وناما

ومن قوله، وهو أحسن ما قيل في ذلك:

يَنامُ على كَفِّ الفتاةِ وتارةً
له حَرَكاتٌ ما يحسُّ بها الكَفُّ
كما يرفعُ الفَرْخُ ابنُ يومينِ رأسَه
إلى والديه ثمّ يُذرِكُه الضُّعفُ

وله:

قلَّما تهوى الغواني حلمَ أيرٍ ووقارَه

وله:

كأنه قوسُ ندَّافٍ بلا وترِ

وله:

سيرٌ يلفُّ على دوّامةِ الريقِ

وله:

رشاءُ على رأسِ الركيةِ مُلْتَفُّ

وفي وصفه قيل: قناة معقفة، وعروة على الإبريق مركبة.

الفصل الحادي عشر

مُتفرّقاتٌ في الجنس

1 - ذمّ كثرة الجماع:

قال جالينوس: صاحب الجماع يقتبس من نار الحياة، فليُكثِر منه أو يقلل.

وقال رجل لأرسطاطاليس: أيّ وقت أُجامع؟ قال: إذا شئتَ أن تضعف.

قال معاوية: ما رأيتُ منهومًا بالجماع إلا تبينت ذلك في مشيته. وقيل: الضرير أنكح من البصير، والخصيان أصحُّ بصرًا من الفحول.

وقال طبيب لرجل: قد ذهب الجماع ببصرك؛ فقال: قد وهبت بصري لذَكَري.

2 - نوادر امرأة غازلها رجل فأخْجلته:

قال رجل لامرأة: أريد أنْ أذوقكِ، فأنْظر أأنتِ أطيب أم امرأتي؟ فقالت: سَلْ زوجي، فإنه ذاقني وذاقها!

ونظر رجل إلى امرأة، فقالت له: يا سَيّدي، تريد النيك؟ قال: نعم؛ قالت: اقعدْ حتى يجيء مولاي، لعلّه ينيكك.

وقال رجل لامرأة: أيري في استِك! فقالت: هلّا جَعَلْتَه في يدي أضعه حيث شئتُ. قال: قد جعلته في يدك. قالت: قد وضعته في حِرِ أمك!

وراوَدَ النظام جارية وتبعها، فقالت: إنّ لي صاحبًا ينيكني، ولي زوج لا يتركني عشرة، ولي صديق أنا أعشقه، فان وجدت في حري فضلة فافعل.

وأنَعْظَ رجل أَيِّر[1]، فعرض أيرَه على بَغِيّ، فقالت: يا رقيعُ إعرضْ هذا على من لم يرَ أيرًا قط، وأما أنا، فعندي من الأيور أكثر من التكبير يوم الأضحى!

وكان لرجل دبة فقال لامرأة: خذي هذه الدبّة[2]، واسمحي لي بواحد. فقالت: أخشى أن ارزق منك ولدًا فيكون ابن قبحة بزيت. ومن النوادر ان امرأة مرت بأبي العيناء، فقالت: أين دربُ الحلاوة؟ فقال: بين سَراويلك!

3 – من حامَشَ امرأة باستدعاء نفع منها:

قال رجل لامرأته: أعطني خاتمك الذهب، أذكرْك به. فقالت: هذا ذَهَب، وأخاف أنْ تَذْهب. ولكن خُذْ عودًا، فلعلّك تعود.

(1) أنعظَ: انتصبَ قضيبه. أيِّر: كبير الأير.
(2) الدبّة: وعاء يوضع فيه الزيت.

3 – نوادرهن في كبر العجيزة وصغرها:

قال الجاحظ: مررت بامرأة قائمة كبيرة العجيزة، فقلت لبعض من معي: ما أَعْظَم عجيزتها إذا لم تكن عليها معظمة[1]. فكشفت عن عجيزتها، وقالت: انظر إليَّ ولا تكن من الممترين[2].

ولبست امرأة ثيابها، واتخذت معظمة لترى عَجُزَها، فرآها رجل فأعجبته، فراودها، فلما خلا بها، وجدها كالعود، فسألها فقالت: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾﴾ [طه: 105]!

4 – الكيربيخ[3]:

جاءت امرأة إلى ربيعة الرأي، فقالت: ما تقول في الكيربيخ؟ فقال: اعْزِبي[4] قبَّحك الله! فقالت: بل أنتَ قَبّحك الله! جئت أستشهد بك وأسترشدك. فتردني بضلالتي! فقال: عافاك الله، كلُّ شيء استنزلتِ به شهوةً غير بعلكِ فحرام.

ومرت امرأة بمخنّث ومعها كيربيخ، فقالت: تأخذ

(1) المعظمة: شيء تُعَظِّمُ به المرأةُ عجيزتها.
(2) الممترون: الشاكون.
(3) الكيربيخ: القضيب الاصطناعي.
(4) اعزبي: ابتعدي.

درهمين والنّية عليك؛ قال: نَعَمْ، فأخذ درهمين ودخل خربة، وقام على أربع، وشدت المرأة ذلك على حقوها[1]، وجعلت تدخل فيه وتخرج، فتطلع رجل من ورائها وصاح: واعجباه من امرأة تنيكُ رجلًا! فقال المخنّث: وأيُّ عَجَب؟ الرجال ينيكون النساء منذ خلقت الدنيا، إن ناكت امرأة رجلًا يومًا فلا عجب!

5 – أنواع مختلفة في وصف الجماع:

لدغت عقرب جارية في فَرْجها، فقالت أمها: واويلاه في أيِّ وقت، وأيِّ موضع؟

وكان عراقي يهوى امرأة، فجاء على حمار مع غلام، وجاءت المرأة على أتان مع جاريتها، فخلا بها، والغلام بالجارية، والحمار بالأتان، فقال: هذا يوم غابت عُذّاله!

سأل جعفر بن سليمان عن قول جرير:

لـو كُـنْـتُ أعْـلـمُ أنَّ آخِـرَ عَـهْـدِكـم
يـومَ الـرَّحيـلِ فَـعَـلْـتُ مـا لَـمْ أفْـعَـلِ

فقال فتى من الأعراب في آخر المجلس: أنا أعرف ما كان يفعل: كان ينيكها! فضحكوا، وقالوا: أصبت. وقيل: من حسن تربية الرجل لولده أن ينيك دابته.

(1) حقوها: خَصرها.

وكان لرجل غلام أسود سندي، فسافر وخلّفَ الغلام في أهله، فأحْبَل امرأته، فلما جاء الرجل، خرج للقائه، وجعل أحد الغلامين على عاتقه والآخر خلفه، فقال له: ما هذا يا مبارك؟ قال: ابني. قال: أتزوَّجْت؟ قال: لا ولكن ولدته من الست. فقال: هذا عَجَب! فقال السندي: وهذا الذي فوق العجب.

وقال اسحق: أتت امرأة حي المدنيّة[1] تسألها المهراس[2]، وزوجها يُواقعها[3]، فقالت: اطلبي المهراس من ابني، فمهراسنا مشغول في الهاون.

وحكي أن أبن نوبخت كان له جارية وغلام، فكان إذا خرج، أخرج أحدهما معه خشية أن يجتمعا، فلما أعياه الأمْرُ زَوَّج أحدهما بالآخر، فكان يتعاطى معهما، فقيل له في ذلك، فقال: لئن كَشَحْتهما أحب إلي من أنْ يكشحاني.

(1) حيّ المدنيّة: امرأة اشتهرت بالشهوة.
(2) المهراس: الهاون، حَجَر منقور مستطيل ثقيل يُدَقّ فيه.
(3) يواقعها: ينكحها.

الفصل الثاني عشر

في الشُّحْق والمساحقات(١)

1 - تفضيل السُّحق على الجماع:

قالت امرأة لساحقة: ما في الدنيا أطيبُ من الموز، قالت: صدقتِ، ولكنه ينفخ الجنبين؛ تعني الحَبَل.

وقال الأصمعي: كنت في دار الرشيد، فخرج على غفلة، فقال: أين الأصمعي؟ فَمَثُلت بين يديه، فقال: من الذي يقول: ولا تستعملي المَرَدي؟ وما أوّله؟ فقلت: هذا شعر لبعض السّحّاقات بالبصرة، وأوّله:

ضَعي الهَنَ على الهنِ ولا تَسْتَعْملي المرَدَي(2)

فذا أحْلى وذا أشْهى مِن القائمِ كالوَتَدِ

فضحك، وأمر لي بألف دينار.

---

(1) الشُّحق: ممارسة الجنس بين امرأتين.

(2) المردي: لعلّه الخشبة التي يدفع بها الملّاحُ السفينة. والمقصود: القضيب.

2 – تفضيل الجماع على السُّحْق:

قيل لامرأة: ما تقولين في السُّحْق؟ قالت: إنه التَّيَمُّم[1] لا يجوز إلا عِنْدَ عدم الماء. ونظر رجل إلى جارية على سطح تُساحق، فرمى نفسه فوقها، فقالت: ﴿جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ﴾ [الإسراء: 81].

قال شاعر:

ألا يا ذواتِ السُّحْقِ في الغربِ والشرقِ
أَفِقْنَ فإن النَّيْكَ أَحْلى مِنَ السُّحْقِ
أفِقْنَ فإنَّ الخبزَ بالأدمِ يُشْتَهى
وليسَ يَسوغُ الخبزُبالخبزِ في الحلْقِ
أراكُنَّ تَرْقَعْنَ الخروقَ بمثلِها
وأيُّ لبيبٍ يَرْقَعُ الخَرقَ بالخَرْقِ
وهلْ يُصْلُحُ المِنخارُ إلا بعودِه
إذا احتاج فيه ذات يَومٍ إلى الدَّقِّ

وقال:

أما واللهِ لو ناجاكِ أيري
قُبَيْلَ الصُّبْحِ في ظَلْماء بيتِ

(1) التيَمُّم: مَسْح الوجه بالتراب.

إذًا لَـعَـلِـمْـتِ أنَّ الـسُّـحْـقَ زورٌ
وأنَّ العيشَ في رَكْضِ الكُمَيْتِ[1]

وذَكِر السُّحق لامرأة، فقالت: أير أبْخَر[2] خيرٌ من حِرٍ مُبَخَّر.

3 - نوادر في السحق:

قيل لأبي فرعون: امرأتك تُساحق؛ فقال: إنها والله تحسن. قيل: ولِمَ؟ قال: لأنه أنقح لشعرتها وأنقى لصَحْن فرجها، وأحرى إذا ورد عليها الأير أن تعرف فضله.

ودخل رجل على جاريته، وهي تساحق، وحِرُها رطب، فقال: ما هذا؟ قالت: ذَكَرَكَ حِري قُبَيْلَ ما دخلتَ، فبكى!

4 - المعروفات بالسُّحْق:

أول من سنّت السحق ابنة الخسّ، هويت امرأة النعمان ابن المنذر، وكانت قد وفدَتْ عليها، فأنزلَتْها عندها، وشُغفَتْ بها، فلم تزلْ تَزَيّن لها ذلك، وقالت: في اجتماعنا أمنٌ من الفضيحة، وإدراك للشهوة. فاجتمعتا وبلغ من شغف كل واحدة بالأخرى، أنه لما ماتت ابنة الخسّ، اعتكفت هند امرأة النعمان على قبرها، واتخذت الدير المعروف بهند في طريق الكوفة؛ وفيها يقول الفرزدق:

---

(1) الكُميت: القضيب.

(2) أبْخَر: له رائحة كريهة.

وفَـيْـتَ بـعَـهْـدٍ كـانَ مِـنْـك تَـكَـرُّمًـا
كما لابنةِ الخُسّ اليماني وَفتْ هِنْدُ

5 – سُنَن السّحاقات:

عادتهنّ انْ لا يتناولن ما فيه مُشابهة من قضيب الرجل، فلا يأكلن القِثّاء والجَزَر والباذنجان لأَجْل ذنبه، ولا الفالوج لأنهُ يتَّخذ للوالدات منهن، ولا يشربن في الكأس لطوله، ولا يشربن من القناني لعنقها، ولا من الأباريق، ولا يتناولن المراوح لذنبها، ولا يقعدن في مجلس فيه ناي ولا طنبور لعنفه، ولا يأكلن العَصَب ولا المبعر المحشي، والكبار منهن لا يصلّين لاجل الركوع، ولا يتَّخِذن الديوك ولا الحمام لفساده، ولا يكتحلن لدخول الميل.

المحتويات



النكاح والجنس
في التراث العربي

في روائع الشعر العربي كثير من الشعر إن أرضى الفن فهو لا يرضي الأخلاق، وإن أعجب رجال الفن فهو لا يتلائم مع نهج الدين والشريعة. وهذا النوع من الشعر يندرج تحت عنوان «الفن للفن» كما يمكن تصنيفه في تيار «الأدب الواقعي».

وهذا الكتاب، هو مجموعة أخبار وأشعار تتناول الجنس في التراث العربي، وهو غيض من فيض، ما دام الجنس – من حيث هو تجسيد لعلاقة الرجل بالمرأة، والعكس – يحتل، ليس فقط في الأدب العربي ولكن في الأدب العالمي أيضاً، المكانة المهمة التي دفعت الكتاب والشعراء الى جعله أحد الموضوعات التي ينهلون منها، من دون حدود، كثيراً من المعاني والصور والأخبار فيها الطرافة والذكاء والمتعة والتشويق، كما أنها تعكس واقعا فكريا ونفسيا واجتماعيا تتميز به العصور التي تنتمي إليها هذه النصوص.

هذا الكتاب هو جولة م...
والمحرمات.

كتابنا للنشر

النكاح والجنس في التراث العربي

كتابنا للنشر